الإبداع العربي

رواية

شعاع هرب من الشمس

سمير رمزى المنزلاوى





شعاع هرب من الشمس

الاخراج الفنى

كامل أشعيا

شعاع هرب من الشمس

سمير رمزي المنزلاوي



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٨٥

اهـــداء

الى كل يد حانيـة تروى بذرة

وتمهـد لها طريـق النمـو ..

١

ما زلت أجد ذلك اليوم من أول شتاء عام ١٩٦٥ محفورا بقوة ذاكرتى . فعندما اختفى صف النخيل الذى يحد قريتنا من الشمال ويمثل آخر معالمها .. نكست رأسى كأنه علم دولة منهارة جلت بعينى فى أرضية القطار القذرة بين أعقاب السجائر وبقايا التذاكر ونفايات اللب والفول السودانى كأننى أبحث عن شىء ضاع .. وهى عادة تلازمنى كلما توترت أعصابى .. شعرت بخاطر غريب قوى يحدثنى أن أقفز فى أول محطة وأعود أدراجى الى القرية ..

ورغم استحالة تحقيق هذا الأمر فاننى كنت أدرك تماما بواعثه .

فالقرية بالنسـبة لى ليست فقط بيتا يأوينى •• ودروبا وأزقة أجتازها ــ لكنها كائن حى •• أعاشره وأتجاوب معه •• أحاوره وأعشق كل قطعة فيه ابتداء من الطريق الثعبانى الترب ــ الذى حفظ ايقاع قدمى وأنا اقطعه يوميا ساعة الغروب حتى أصل الى رأسه الذى يلامس النيل كأنه يشرب منه الى مئذنة مسجد سيدى عبد العاطى التى أصافحهـا بعينى كل فجر •• وأعشق فيها رائحة التاريخ الذى أقدسه •• لعلها افتقدتنى اليوم فى صـلاة الظهر •• فلم أرتق درجاتهـا المتآكلة لأرفع عقيرتى بالآذان •

اننى الآن فى طريقى الى مهمة مقدسة فى الاسكندرية ذات السحر العارم التى طالمـا استمتعت تحت النخيل بقراءة فصول عن تأسيسها ••

لقد وصلتنى بطـاقة التنسيق •• وصرت طالبـا بكليـة الآداب •• تحسست جنيهاتى التى ترقد فى جيبى بأمـان •• ونصيحة أمى بالاحتراس من النشالين تطفو على سطح ذهنى ومعها قصص تنتزع الضحك قسرا عن بعض أعيان القرية الذين هبطوا الاسكندرية ولم يفلتوا من نشاليها المهرة فاستجدوا على المقاهى ليجمعوا ثمن تذكرة العودة ضغطت على النقود بشدة ــ كرد فعل لتذكر هذه المـأسى وجعلتها تستقر فى قاع الجيب •

عادت فكرة الابتعاد عن القرية تلح على •• وتستفز عقلى

باصرار .. فهذا أمر طارىء لم أتعوده ولم أتصوره .. فلا أذكر أننى فارقتها الا لماما .. حتى أيام الدراسة الثانوية كنت الوحيد الذى يقبل تكبد مشقة لمسافة تزيد عن السبعة كيلو مترات ذهابا .. ومثلها فى الاياب حتى لا أقضى ليلة بعيدا عن أحضانها الدافئة .

ولا أحسبنى أتجاوز الحقيقة اذا قلت أننى — وحتى وقت قريب — كنت أتخيل القمر يسكن فى سماء قريتنا ومنها ينشر نوره الى البلاد الأخرى ..

لم أكن أطيق المشى الا على طريقها المتعرج أرقب الماء المطحلب حتى أصل الى ورشة الطوب هناك على كتف النيل .. وأقف متأملا مدخنتها العالية التى تذكرنى بمسلات الفراعنة .. وغناء الفتيات بداخلها ينبعث محملا برغبات جياشة فى الحب والحياة ..

روحى لاتزال هناك .. عند صف النخيل .. أكاد أشعر بنفسى سقيمة واهنة تتحرك باشعاع بسيط ترمله روحى وهى تتجول فى أزقة القرية وترسل لى صورا حية متلاحقة كأنها عربة ارسال خارجى .

ها هى ذى أمى تجلس أمام عتبة دارنا .. ترتق سروال أبى

المهلهل وتقتل البراغيث به بينما تهدهد بيدها الأخرى أختى التى لا تزال فى المهد أكاد أسمع سعال أبى يرتفع من الداخل .

لقد عاوده مع بشائر الشتاء ولا أدرى كيف يتحمل جسده الواهن هذا العبء مع الأعباء الأخرى .

شعبان أخى رغم كونه فى الرابعة عشرة الا أنه كسول يعشق النوم تحت النخل ويجيد صناعة مزامير الغاب . ولعل هـذا ما حدا بأمى أن تسفح عبرات ساخنة وهى تعانقنى مودعة وكأنها تتساءل عمن يحمل العبء بعدى فرغم دراستى كنت أكفى أبى معظم الأعمال .

ومع ذلك كان الرجل عظيما وهو يودعنى .. قبلنى وهو يجاهد لينهض .. طأطأت رأسى حتى لمس طرف شاربه الكث صفحة وجهى ولم يزد أن قال بصوت متهدج : ــ كن رجـلا كعهدى بك .

ثم دس فى يدى ورقة بها عنوان سعد الزناتى لا أدرى من أين حصل عليها .. أخرجت الورقة من جيبى .. تفرست فى العنـوان ..

« الابراهيمية ــ شارع الزنكلون ــ رقم ١٥ » .

لقد أكدت أمى أن (سعد) شهم وسيكون عونا لى فى الغربة خاصة وأن قرابة قوية تجمعه بأبى من ناحية الأم ..

وسمعت منها كذلك ــ أنه غادر القرية منذ سنوات طويلة تختلف دائما باختــلاف الرواة واستقر بالاسكندرية .

ودائما تروى فى جلسات الليل قصص خرافية عن ثرائه . يقال انه يعمل بالجمرك .. ويقال أيضا انه يمتلك محلا للبضائع المستوردة فى محطة الرمل .. الله وحده يعلم فالكلام كثير ..

ولقد سمعت ــ مرة ــ من عبد الكريم البقال أن سعد الزناتى له عمــلاء يهربون البضــائع وأنه صار من أصحــاب الملايين ..

وحتى الآن ، مازال الجميع يذكرون يوم وفــاة أمه . عندما حضر الى القرية يرتدى حلة فاخرة .. وقد أزال وشم العصفور الأخضر الذى يربض فى ركن جبهته بماء النار وترك مكانه غائرا ..

كان بصحبته أحد مشاهير القراء .. وأقام مأتما لم يحدث عند وفاة والدة العمدة .

يومها .. استعاد الناس صورة جلبابه الرث الذى غادر به القرية هاربا من الفاقه والعوز ..

وعضوا شفاههم الجافة احتجاجا على حظهم العاثر وتمنى كل منهم لو نبذ الفقر الذى أثبت أصالته مع أهل القرية وهاجر مثل سعد .. لكنه سافر بعد أيام

ونسى الأهالى كل شيء .. وعادوا الى سابق عهدهم من القناعة وبصلة المحب خروف ..

ترى كيف يستقبلنى سعد ؟

عدت أتحسس جنيهاتى .. انها فى مكمنها . القطار يأكل القضبان بشراهة .. أشعر أننى ابتعدت كثيرا لكن صورة المئذنة لا زالت تملأ الفضاء أمامى .

والشيخ جابر بقامته المديدة يؤذن لصلاة الظهر ..

لن ينسى بالطبع أن يدعو لى بعد الصلاة ـ كما وعدنى ـ وان اشترط ألا أجاوره بعد ذلك فى كرامات الأولياء ...

وأن أخفف من غلوائى وأكف عن مطالعة كتب الملحدين .. وأكد غاضبا أن تعرضى لكرامات الأقطاب يجر على غضب سيدى عبد العاطى ولا يستبعد أن يخبر صديقه أبا العباس المرسى ولى الاسكندرية فيعاكسنى فى غربتى ..

ورغم الحاحه الشديد فى أن أزور ضريح سيدى عبد العاطى وأمسح وجهى فى كسوته الحريرية فاننى رفضت بحجة انشغالى بتجهيز أمتعتى ووكلته فى القيام بهذه الطقوس باسمى ...

ما هــذا ؟

لقد سرحت كثيرا

نظرت الى جاري فى المقعد .. كان ساهما .. ربما احترم صمتى وشرودي ، لا داعى للحديث معه

فأنا أشعر بصداع ولده لى سرعة التفكير وتلاحق الصور على ذهنى المكدود .. أرحت رأسى على حاجز الكرسى أمامى

فوجئت بسؤال رهيب يملأ عربة القطار .. ويسيطر على الفضاء أمام عينى : هل يموت أبى أثناء غيابى ؟

فتحت عينى بسرعـــة .. اعتدلت .. هززت رأسى ليتناثر السؤال اللعين .... ما هذا السخف ؟

أليست الأعمار بيد الله ؟ ثم ان هذه ليست المرة الأولى التى تشتد فيها وطأة السعال عليه ..

السؤال يراودنى .. يلح على .. يفرض نفسه

مــاذا لو مــات .. ؟

جزئية صغيرة تهيمن على تفكيرى .. لا أجد لها مبررا

هل يدفنونه أم ينتظرون أوبتى لأسند النعش وأتشنج

لا أدرى لم قفزت تلك الجزئية فوق الحدث كله ...

هل تحمل هم هــذا فقط ؟

وأمك .. كيف تتصرف .. ؟

انني شديد الخوف من الموت •• ولم أهتد الى حكمته حتى الآن

هيه •• ستعود الى شطحاتك التى حذرك منها الشيخ جابر يوم سألته بعد صلاة العصر عن امكانية اختراع عقار يحمى الانسان من الموت ويمنحه الخلود ••

يومها صرخ فى وجهك وفض الدرس •• وأقسم الا تطأ درجات المئذنة ولا تتصدى للامامه فى غيبته حتى تطلق هذه الأفكار الشيطانية وتقرأ ورد الاستغفار عشر مرات ••

عادت ذبابة القلق تطن فى عقلى •• تلهب خلاياه •• ماذا تفعل أمى •• لو مات الرجل الطيب •• ؟

أتخيلها تصرخ •• تسح الدمع الساخن •• تتهدل أجفانها المتقرحة •• تهرول الى قطار الفجر لتحضرنى ••

تضل الطريق وسط زحام الاسكندرية •• يرشدها المارة الى العنوان •• تصرخ تحت النافذة اقفز الى الشارع •• أحتضنها ••

المارة يبكون •• دموعها ساخنة تكوى صدرى المفتوح •• صراخها يشتد

تهمس فى أذنى

ـ أبوك ينتظر الكفن •• ليس معى ثمنه

نسير معا •• نتسول كما فعل أعيان قريتنا عندما استلت حوافظ نقودهم نعود •• نشترى الكفن

الشيخ جابر يتأبط ذراعى

تجلد •• أنت مـؤمن •• ينزلون الجسـد الى القبر •• أصرخ صرخة حقيقية ••

الركاب جميعا ينظرون نحوى فى ذهول

المحصل اقترب منى وحملق فى دهشه

حاولت الابتسام •• قلت لجارى : متأسف

ازدادت دهشته •• حول وجهه

شريط الصور يعود •• يلتحم •• يعرض بعناد •• ما هذا ؟

أبى يجلس فى صحن الدار

لايزال حيا •• صحته طيبة •• يلف سيجارة سمينة بأصابعه الصفراء •• ينفخها يتلذذ •• عاودنى الاطمئنان ••

أشعر بدوار ••• جارى هبط فى احدى المحطـات دون أن أفطن اليه •• يبدو أن الاسكندرية اقتربت

القطار لفظ معظم الركاب ••

لن أفـكر فى شيء •• ابتعت صحيفة •• آخـذت ألتهم كلماتهـا •••

٢

كان أول ما طالعني في محطة سيدي جابر لافتة كبيرة تقول (الاسكندرية ترحب بكم) ابتسمت كأنني أرد للاسكندرية تحيتها ..

قبضت على حقيبتي .. وتحسست نقودي بحركة تقليدية وعبرت بصعوبة فناء المحطة . الساعة المعلقة أمامي تشير الى الثالثة والنصف ..

عبرت الشارع بحذر ريفي .. وقفت على محطة الترام طبقا لما أشار به صابر حلاق الصحة ، خبير الاسكندرية والذي وضع لي خطة التحرك وهو يقص شعري ..

جاء الترام .. جلست بداخله واضعا حقيبتي فوق ركبتي

ويدى على جيب البنطلون .. أخذت أتصفح واجهات الحوانيت والمقاهى والمكتبات ..

جاء المحصل ينقر بقلمه (الكوبيا) ابتعت تذكرة وعدت أتفحص وجوه المـارة والسيارات المسرعة .. كل شىء هنـا يتميز بالسرعة .. أين شوارع القرية التى لا ترى السـيارات الا عندما يحضر الطبيب لعيـادة مريض ترى حالته خطـيرة .. ساعتها يتجمع الصبية يلمسون جسد السيارة فى نهم .. ترى هل يفعل أطفال الاسكندرية ذلك ؟

أتذكر .. كدت تفقد حياتك ثمنا لنزوة لمس سيارة طبيب المركز .. كان قد أوصلها بالتيار الكهربى ليمنع عبث الأطفال

وجئت أنت .. كنت فى الابتدائى .. لمست السيارة فى نشوة .. شعرت برجفـة شديدة وهرولت الى حضن أمـك تصرخ ..

أفق .. ما ان يذكرك شىء بالقرية حتى تغوص فيه وتنسى نفسك .. هـذا هو المفتش يطلب تذكرتك ..

نظرت فى يدى .. لم يكن فيها سوى قصاصة رفيعة من التذكرة والبقية مزقتها بلا وعى ...

قال المفتش كأنه يردد للمرة الثانيـة :

تذكرتـك

أخرجت ـ فى خجل ـ ورقة من فئة العشرة قروش ناولتها له •• زمجر غاضبا ونادى المحصـل ليعطينى تذكرة أخرى ••

هدأ الترام سرعته •• وبرزت كلمة الابراهيمية واضحة فوق المحطة •• أسرعت بالنزول اتجهت نحو رجل مهدم يقف أمام عربة فول سـودانى على رصيف المحطـة •• سألته عن شارع الزنكلون بصوت خفيض ••

أشار ـ دون أن يتحرك ـ بسبابته •• تحركت على هديها حتى وصلت الى شارع بورسعيد وعبرته الى الشارع المنشود ••

انه ضيق •• يشبه الشريط •• تقوم على جانبيه عمارات عالية تجعل ضوء الشمس ينفذ اليه ضئيلا خافتا ••

سرت أتفحص أرقام العمارات حتى وقفت أمام رقم (١٥).

كان يجلس أمامها بواب نوبى على دكة خشبية منخفضة •• وقد بدت احدى ساقيه مبتورتين وعكازه الخشبى بجانبه ••

حييته بصوت مرتعش فلم يرد •• وقبض على عكازه كأنه جندى يشهر سلاحه •••

أعطيته العنوان فرده دون أن ينظر فيه وقال :

ـ تريد من ؟

ـ سعد الزناتى

أشار بيده الى سطح العمارة بطريقة غامضـــة •• خفت أن أثقل عليه خاصة وأن تعبيرات وجهه لا تبشر بخير •• وعندما شعر بحيرتي قال بصـــوت مبحوح كأنه فحيح أفعى :

ــ سعد الزناتي على السطوح ••

ارتفعت علامة استفهام ضخمة أمام عيني •• كادت تحجب درجات السلم التي أقفزها رغم أن المصعد أمامي ولا أنكر أنني كنت أجهل طريقة استخدامه كما لم تواتني الشجاعة أن أطلب من البواب العصبي أن يحملني فيه ••

كيف يسكن على السطوح ؟

انه يعمل في الجمرك •• هذا لغز ••

أدرت بصري في أرجاء السطح الفسيح فلم يصطدم بشيء سوى شقة صغيرة تقوم في ركن ضئيل منه أمامها حبل غسيل يرتكز على عمودين من الخشب وقد اكتظ بالملابس

اتجهت ناحية الباب •• طرقته بلطف

عند الطرقـــة الثالثة فتح فجأة •• وظهرت فتـــاة نحيفـــة لا تتجاوز الخامسة والعشرين وجهها فيه شيء يجبرك على أن تطأطيء •• رغم أن ملامحها عادية •• كانت ترتدي فستانا أبيض يصل الى ما بعد ركبتها بقليل ••

وقفت تتساءل بنظرة دهشة عن وجودى

قـلت بقـلق :

ــ أنا حسن عبد الكريم •• من قرية سعد وقريبه

قالت كأنها تعرفنى :

ــ أهلا •• تفضل • أنا زوجته

ــ أهــو موجــود ؟

ــ نعم •• انه نائم تفضل

لم أجد بدا من الدخول •• خطوت ببطء وتقدمتنى الى حجرة الصالون •• حجرة صغيرة تنم عن ذوق سليم •• جلست فى مواجهتى •• طأطأت رأسى •• وأسعفنى ذهنى بكلمات أفسر بها زيـارتى قلت :

ــ أنا طالب فى الآداب والدى أعطانى عنوان سعد ليبحث لى عن حجرة

أومأت برأسها علامة الفهم وقالت وهى تنهض :

ــ سأوقظــه حــالا ••

لم تأبه لكلماتى فى الاعتراض على ايقاظه ومضت مهرولة ••

شعرت بشىء من الحرية •• رفعت عيناى أتفحص الحجرة وموضوع الجمرك والسطوح يشغلان تفكيرى ••

أمامى على الحائط صورة عائلية .. هـذه صورتها .. وهذا سعد .. يضع يده على كتفها .. انه يبدو شاحبا ممصوص الوجه وان حاول أن يضفى على وجهه شيئا من الرهبـة بشاربه الذى أطلقه

وبالغ فى فتل زوائده ..

عيناه باهتتان لاتمتان بصلة لعينى زوجته ..

استرعت انتباهى صورة أخرى على الجدار المقابل

فارس يرتدى الملابس الاغريقية ممتطيا جوادا جامحا وقد أمسك بطرف رمح غرس نصله فى جسم أفعى هائلة تتلوى من الألم ..

ذكرتنى هذه الصورة بالفصول التى قرأتها عن الاسكندر العظيم وقواده .. وتصورته يرتدى مثل هذه الملابس

ويقف مع أعوانه يخطط المدينة ..

فرت متعة المشهد بسرعة عندما دخل سعد .. انه يختلف تماما عن الصورة المعلقة وجهه ازداد نحولا .. شاربه ذوى

فتشت فى أعمـاق ذهنى المشتت عن كلمـة فلم أجد .. نهضت وصافحته .. عانقنى وقال بصوت رفيع :

ــ اهلا يا حسن .. شرفت .. ثم اردف ضاحكا :

ـ كبرت بسرعة •• آخر مرة رأيتك كنت طفلا •• كيف حال أهل البلد

ـ بخير •• والدى وجميع الأهل يهدوك السلام

تفرست فى وجهه وملابسه كأننى أبحث عن آثار الجمرك

جاءت زوجته .. وقفت على باب الغرفة قال سعد يقدمها :

ـ زوجتى •• نادية

احنيت راسى وقلت :

تشرفنـــا

قـــالت مجاملــة :

ـ اعتبر البيت بيتك •• نحن أهل

والتفتت نحو زوجها فامن على قولها وقال :

ـ لا تفكر فى شىء •• نحن طوع أمرك

ـ ومســـألة الســـكن

ـ هذه مسألة سهلة •• ألست جائعا ؟

ـ كلا •• أريد النوم فقط

ـ قـــام تتبعه نادية

خلعت حذائى وتمددت على الكنبة ••

جاءنى صوت نادية الضاحك قائلا :

ـ استيقظ .. نومك عميق مثل سعد

فتحت جفنى بصعوبة فوجدتها أمامى تبتسم .. جلست أحاول ازالة آثار النوم

قالت بطريقة اخويـة :

ـ انك تنام بمجرد أن تريد .. عدت بعد دقائق بالبيجاما فوجدتك فى عالم آخر

لقد نمت ثلاث ساعات

ـ اننى فى حاجة الى ثلاثة أيام .. أين سعد ؟

ـ عند محمود الحـلاق ..

ـ من محمود هـذا ؟

ـ صديقه .. حـلاق فى أول الشارع .. هيا اغتسـل لتتناول عشاءك

ناولتنى الفوطه وذهبت الى دورة الميـاه ثم عدت فوجدت الطعام جاهزا

جلست ترقبنى كاننى من كوكب آخر .. فاجاتنى بسؤال لم اتوقعه منها :

ـ هل اخترت قسما معينا فى الكلية ؟

ــ ألديك فكرة عن الأقسام ؟

ــ بعض الشيء .. على فكرة أنا حاصلة على الاعدادية

ــ لمـاذا لم تكملى ؟

ــ ظـروف

ــ لقد اخترت قسـم التاريخ .. اننى مصـاب بهوس تاريخى ..

ــ التاريخ ممتع

شعرت بالألفة الشـديدة .. اسـتطاعت أن تنتزع من عقلى ــ لفترة ــ مشاهد القرية ..

انتهيت من الطعام وخرجت أتمشى على سطح العمارة

تناهى الى أذنى صوت البحر الهادر كأنه يستعرض قوته أمام عروسه الاسكندرية

وقفت نادية ممسكة بحبل الغسيل تميل به يمنة ويسرة كأنها تتأرجح ورأيت سـعدا يتأبط ذراع شخص ويدخلان من باب العمـارة

أخبرتنى نادية أنه محمود الحلاق ..

جاء محمود هذا .. وهو لا يمتلك من مقومات الرجولة سوى الاسم .. وجهه مستدير أملس لامع خاصة الشعر ..

شعره الذهبى مسترسل على كتفه وصدره البارز يرفع القميص اللينوه الشفاف منافسا صدره عذراء فى العشرين .

ومما يكمل أنوثته •• ويؤكد أن عملية جراحية بسيطة يمكن أن تجعله فتاة لا غبار عليها •• صوته الرفيع الذى يمضغ الحروف ••

شعرت بالتقزز •• وخمنت ماذا يحدث لو هبط قريتنا ورآه الصبية •• لاشك أنهم سيطاردونه بالحجارة •• وربما جذبوه من السلسلة التى تتدلى من صدره ••

صافحنى بيده البضة وجلس مبتسما •• انسحبت ناديه بمجرد دخوله وبدأ التجهم على وجهها قال سعد يقدمنى :

ـ حسن •• ابن خالى

قال محمود بفرح طفولى :

ـ أهلا يا أبا على

مد يده بعلبة سجائر •• اعتذرت شاكرا

قال سعد مفتخرا :

ـ حسن •• طالب فى الآداب

صمت قليلا •• ثم عاد يقول :

ـ نريد له حجرة •• الدراسة بعد يومين

مضغ محمود الكلمات وقال : ـ هذا أمر سهل ..

قالت مستعطفا :

ـ أرجوك .. أريدها بسرعة ..

قال يهمس لسعد :

ـ ليس لدى الآن سوى حجرة فى شقة الشاطبى

قال سعد بسرعة :

ـ هائل

اقتحمت نادية الحجرة وقالت كأنها كانت تشاركنا الحديث

ـ سعد .. ابحث عن حجرة أخرى .. حسن يريد الاستقرار

ابتسم محمود وقام وهو يقول :

ـ المحل وحده ..

وربت على كتفى ..

جلس سعد يحدثنى عن أيامه فى القرية ويسألنى عن رفاقه .. ثم تركنى أنام

شعرت أن دعاء والدى سبقنى الى الاسكندرية ومهد كل شىء

ـ لم الأرق حتى هذه الساعة ؟

قالتها نادية متأففه وهى تقاوم رغبة أكيدة فى النوم
رد سعد بحزن :

ـ لا أدرى .. كأننى رجعت الى القرية .. كأن الحجاب رفع عنى فصرت أرى كل شىء فيها من على سريرى ..

ـ نم يا سعد واخز الشيطان .. فلست وليا حتى يكشف عنك الحجاب

ـ ليست مسألة ولاية .. قدوم حسن أعادنى الى البلد .. كأننى مازلت هناك أحدو لرفاقى ويرددون خلفى أغنيات الأمل فى ساعة القيلولة ..

نادية .. استيقظى .. أريد أن أحدثك

ـ سعد مـاذا جرى لك ؟

قال وهو يوقظها

ـ جرى لى الكثير .. ليتنى كنت الآن فى وسط الحقل أشتل الأرز .. ورجلاى تغوصان فى المـاء ..

كنت سعيدا .. كل شىء حولى يوحى بذلك .. الطيور .. أعشاب الحبك والقضاب كل شىء يرقص ..

ـ وما الذى رماك علينا يا حضرة الشاعر ؟

ـ الطمـع

ـ وهل الطمع أيضا رماك فى طريق محمود الحلاق

ـ نعم •• صـــدقينى •• لست شريرا ولست سيئا •• كنت منذ طفولتى مثال الولد الطيب •• أخى مسعود •• كان يصرخ فى وجه أبى عندما يلطمه أو حتى ينهره بل ان الأمر كان يتطور أحيانا فيجمع طوب الحارة ويقذف به أبيه

ولا يكف حتى تسترضيه أمى بقالب سكر أو قرش يشترى به مصاصه •• أما أنا •• فعندما يضربنى أبى •• أنكمش بجانب جدار وأظل على حالى حتى تهدأ ثورته فينادينى ويصالحنى ••

ـ كنت جبانا

ـ كلا •• كنت أحب أبى وأحترمه •• ويوم مات أفرغت مـــاء عينى عليه

ـ ثم مـــاذا •• أريد أن أنام

ـ نادية •• هل تصـــدقين •• عندما كبرت وفهمت الدنيا لم أتورط أبدا فى عمل شائن كل رفاقى كانوا يزورون نجيه

يتباهون فى سهرات الحصاد فوق الرمية بما يفعلونه معها بل ان بعضهم لم يكن يتورع عن وصف مفاتنها علانية ••

كنت أتحمل تهكمهم لأننى لا أشترك معهم •• كنت أخاف من الله الذى لا ينفك أبى يذكرنى به وبعذابه ••

ـ وأين ذهب الله عندما جئت الى السكندرية

ـ لا أعرف .. نسيت كل شيء .. هنـاك كانت صلتى بالله كبيرة .. كنت أراه فى كل هزة جناح طائر يخترق الجرن .. كنت أراه فى تمتمات شفاه الرجـال بعد كل صلاة .. فى بريق مـاء الترعة .. فى كل شيء ..

كنت أراه وأحبه ..

ـ أعماك الجشع عنه

ـ نعم .. اعتقدت فجأة أن حياة القرية سبب شقائى .. شعرت أننى سأظل فى الفقر والعناء .. كرهت أغنيـات الليل الجميلة .. كرهت جلسـات الجرن وكيزان الذرة المتوهجـة وحكايات عوض عن تحدى أبيه للباشا وضرب جده للمـارد الذى يقطع طريق المسجد عند الفجر ..

ضقت بهذه الجلسات ..

ضقت بالقرية كلها وبأهلها .. همت على وجهى .. أتخيل عالمـا آخر فيه الغنى والعمارات والفتيات الجميلات والصيت

قـررت الرحيـل

لم أتردد .. صارحت أخى مسعود .. رفض

حاول أن يسبنى .. ولأول مرة رفعت يدى وهويت على خـده

تجمد .. انسحبت فى صمت .. حملت أمتعتى وجئت :

ــ أهــلا وســهلا

ــ لا تسخرى منى

ــ أنا لا أسخر ولكن أريد النوم

ــ استغرقى فى النوم كمــا تشائين .. لكننى سأظــل ساهرا .. أتجول فى جرن أبى .. أشم رائحة الدريس وتزكم أنفى عطانة قش السنة المــاضية

استغرقى فى النوم .. أما أنا فسأذهب الى هناك ــ الى ضريح سيدى عبد العاطى ..

اسفح دموعى على قضبانه

وأوقد له شمعة

وأصلى ركعتين لله

لعلى أعود ــ كما كنت ــ سعد الزناتى

***

لم أستطع أن أمنع نفسى من الاستماع الى حديث ســعد وزوجته فقد كان يصــلنى واضحا عبر الجدار الفاصــل بين الحجرتين ..

لكننى لم أفهمه تماما •• كيف، يتمنى سعد العودة ؟ ان القرية كلهـا تريد أن تفعل مثـله •• والجمرك ؟ والبضـائع المستوردة •• ؟

لم يسعفنى عقلى بشىء •• جاهـدت طويلا حتى ظفرت بالنـوم ••

٣

كانت الساعة قد جاوزت العاشرة بقليل عندما فتحت عينى بصعوبة فاصطدمتا بصورة سعد وزوجته •• جلست على الكنبة أقاوم سؤالا حائرا عن سر اقامته فى هـذا المكان المتواضع •• شعرت برغبة ملحة فى أن أسأل نادية •• اقنعت نفسى أخـيرا أن الأمر لا يعنينى •• ولا يجب أن أدس أنفى فى حياة الناس •• كفى أننى سمحت لنفسى بالأمس أن أستمع الى حديث خـاص بينهمـا •

فتحت النافذة المطلة على السطح •• كانت نادية جالسة أمام الشقة على مقعد قماش من مقاعد الشاطىء•• وقد فردت ساقيها وأراحت ظهرها على المسند ••

لمحت فى يدها كتاب دفنت رأسها فيه ..

خرجت اليها .. لم تشعر بخطواتى .. تناهى الى أذنى صوتها هامسا يخرج من بين شفتيها فى خشـــوع .. قلت فى هدوء حتى لا أخدش ذلك الجو الساحر :

ــ هل تصلين وأنت جالسة ؟

قالت بدون أن ترفع رأسها :

ــ أصلى فى معبد الشعر .. هل نصلى جماعة ..

أدهشتنى اجابتها .. قالت كأنها تقرأ خواطرى :

ــ لا تدهش .. القراءة وخاصـــة الشـــعر هى متعتى الوحيدة .. هل تحب الشعر ؟

ــ أحب سماعه .. لكن لا صبر لى على قراءته

انحنيت أحاول قراءة عنوان الكتاب وأنا أقول :

ــ قراءاتى كلها فى التاريخ حتى نسيت أننى من أهــل هــذا العصر

قالت وهى تقدم لى الكتــاب :

ــ لا تحرم نفسك من الشعر انه نبضــات قلوب العباقرة

تفرست فى الغــلاف

مسرحية مجنون ليلى .. صورة ليلى على الغلاف جالسة فوق القمر مدلية قدميها بين النجوم كأنهـا تغسلها بالنور .. وقيس السكين واقف على الأرض فى ضراعة يستجدى ليلى أن تمن عليه بما يطفىء شوقه

قلت فى انفصال :

ــ اننى أغبط الفنان الذى أبدع هـذا الرسم .. لقد جسم الحب حتى أكاد ألمسه بيدى

ــ الشعر أجمل بكثير ..

سأعطيها لك بعد أن أفرغ منها ..

جذبت المسرحيـة وهى تقول :

ــ يبدو أننى سأصبح تلميذا أمامك ..

ــ أنا انسانة بسيطة حاصلة على الاعدادية

لكنك دائرة معارف فيما يبدو

ــ الكتاب تسليتى الوحيدة فى غياب سعد

ثم اردفت بحـزن :

ــ كنت أريد أن أكون طبيبة وشاعرة فى نفس الوقت

ــ لابد أنك جربت الكتابة

ــ لى محاولات فى الشعر .. سأنفض عنها تراب الاهمال لأسمع رأيك فيها

ـ يشرفني أن أكون القارىء الأول .. على فكرة أين سعد ؟

هل ذهب الى الجمرك ؟

رفعت أهدابها وقالت

ـ الجمرك ؟

ـ نعم .. القرية كلها تتحدث عن سعد وعمله فى الجمرك .. ونجاحه ..

هزت رأسها وقالت

ـ النجاح .. آه انه توفيق من الله

نهضت واقفة ثم هرولت الى داخل الشقة

وقفت أرقب السماء كأنها نوع آخر غير سماء قريتنا ..

جلست بجانبى فى المساء تقرأ لى مختارات من شعرها .. كان صوتها يتهدج بالكلمات المشحونة بالحزن .. تخيلتها عجوزا أكلتها الأيام .. ليس هذا شعرا شابه غضه .

كانت الشمس قد غربت لتوها تاركة آثار أقدامها الحمراء على صفحة السماء ..

قلت وأنا أجيل بصرى بين السماء ووجه نادية ..

ـ الدنيا جميلة •• أنظرى •• لم كل هذا الحزن ؟

ـ قد يكون شعرى ركيكا ولكنه صادق •• نابع من تجربة

هل تعرف أننى كنت أنوى كتابة ملحمة حياتى

ـ وهل حياتك تحتاج الى ملحمة ؟

ـ وكنت سأسميها الياذة الأحزان

ـ عموما أنا مستعد لسماع ما تكتبين ولا تهمنى الصنعة بقدر ما يهمنى الصدق

ـ الصدق •• آه لقد استرحت لحديثك •• أشم فيك ريح عبد الوهاب أخى

قالت بسرعة :

ـ أين هو ؟

ـ مات •• مات فى حادث

صمت حتى لا انكأ جرحها •• قالت بانكسار :

ـ كنت أقرأ عليه موضوعات الانشاء •• ورغم أنه لم يكن يفهمها •• الا أن عينيه كانتا تبرقان فى فرح •• ويشجعنى ويمطرنى بالقبلات •

حاولت أن أبدد الغيوم التى غشيت جلستنا •• قلت متضاحكا :

ـ هل تقبلين أن أكون فى مكانه ؟

ثم اردفت ممازحـا :

ـ ولكننى لن أستطيع بالطبع أن أمطرك بالقبلات

ابتسمت ابتسامة ضيقة ••

واستأذنت لتعد طعام الغذاء ••

جلست اكتب خطابا لوالدى :

أبى العزيـز

أحييك بعدد ضربات فأسك وألثم يد أمى الكريمة

أكتب اليك من الاسكندرية

وقد وصلتها بعد أن سبقنى دعاؤكما الحـار ومهـد لى كل شىء

أنا الآن فى شقة سعد الزناتى حتى ندبر غرفة

ويهديكم السلام وكذلك حرمه المصونة

سلامى الى الأخ شعبان والصغيرة كريمة

والأسـطى صـابر

لا يكن لديكمـا شـاغل .. النقود كافيـة ولا يعوزنى الاقتصـاد

ابلغوا سلامى الى الشيخ جابر وآكدوا عليه آن يدعو لى عقب الصـلاة .

ابنك المخلص

حسـن

أغلقت المظروف وكتبت العنوان .. أتخيل هـذا الخطاب يصل الى دكان الشيخ حامد متعهد البريد الأهلى .. فيرسـله على الفور الى بيتنا ..

وتقوم أمى مهرولة الى صابر الحلاق ليقرأ لها .. ولابد أن يجتمع أهـل الشارع عندما يعلمون بوصـوله .. سينتظر كل منهم سلاما خاصا له ..

المهم الآن .. أرسـله .

دخل سعد .. وعلى فمه ابتسامة باهته .. جلس بجانبى وتناول المظروف وقال :

ـ لابد أنك أرسلت سلامى

ـ بالطبـع

أشعل سيجارة وقدم لى واحدة وهو يقسم آن أشعلها .. لم تفلح محاولتى فى الرفض وقال مبتسما :

ـ كيف لا تدخن •• ان أباك يحمل حريقا فى صدره

ـ ولذلك لا يكف عن السعال

ـ انتى أحسـدك

اخرج سيجارة اخرى اشعلها من الأولى وقـال :

ـ هيه •• كيف حال البلد •• والناس

ـ كمـا تركتهـا

تنهـد بعمـق :

ـ لقد تركتها بخير •• أيامها لا تعوض

ـ فى القريـة لا يقولون ذلك •• يعتقدون أنك هزمت الفقـر

ضحك بافتعال وقال مغيرا دفـة الحديث :

ـ ونجية •• كيف حالها •• ألا تعرفها ؟

ثم غمز بعينيه ••••

ـ أعرفها •• لكن

ـ لا تحاول اقناعى انك لم تزرها •• لا تدخين ولا نجية ان سيدى عبد العاطى نفسه لا يطيق هذا

ـ وهل زرتها أنت ؟

ضحـك قائـلا :

ـ كلا •• ولا أعرف لمـاذا

قلت مصطنعا الجـد :

ـ اننى أؤم الناس فى الصلاة •• وأؤذن أيضا ••

ضحك حتى ظهرت أسنانه الذهبية وقـال :

ـ نرجو ذلك •• ان أباك رجل تقى

ـ **شـكرا**

قال وهو يسحب نفسا عميقا من صـدره :

ـ **أيـام**

٤

فى الساعة الثامنة كنت فى فناء الكلية •• الطلاب منتشرون كالطيور المرحة •• على وجه كل منهم ابتسامة ثقة وتفاؤل •• الكلية تختلف كثيرا عن المدرسة •• ضخمة هائلة •• وقفت وسط مجموعة من الزملاء ••

وجوه تبدو مألوفة •• لا أشعر بالغربة بينها •• تعارفنا بسرعة

سعيد من كفر الشيخ •• سامى من دمنهور •• زكريا من ميت غمر •• اتفقنا على قسم التاريخ •• توجهنا اليه ، ونقلنا الجدول ••

بعد ساعة كنا فى مدرج العبادى تتلقى المحاضرة الأولى فى تاريخ العصور الوسطى

الأستاذ رجل مهيب وخطه الشيب لكنه يحتفظ بروح شابة مرحة

السكون يلف المدرج .. فارق هائل بينه وبين الفصل رحم الله أيام الأستاذ شحاته مدرس الجغرافيا .. كنا نمطره بوابل من الطباشير وأعقاب السجائر ..

رحب الأستاذ بنا .. ووعدنا خيرا .. بدأ يستعرض المنهج .. ممتع .. فروسية .. اقطاع .. نبلاء .. مبارزات .. خيول

ليتك يا أبي تعلم مقدار سعادتي ..

وبعد المحاضرة قبضت على كراستي كأنها خاتم سليمان وعدت الى الشقة .. كان محمود الحلاق يجلس مع سعد ..

استقبلاني بترحيب بالغ .. جلست أقص فى اعجاب ما حدث لى ..

ضحك سعد وهو يقول :

ـ لقد اكتملت سعادتك .. محمود أعد لك الحجرة

نهضت واقفا والفرحة تكاد تطفر من عيني ..

قلت متعجلا : متى انتقل اليها ؟

قال محمود بحماس :

ـ الآن ان شئت

نظرت الى سعد •• لكنه حسم الأمر بقوله :

ـ أنت متعب اليوم •• استرح وفى الغد اذهب معه

قام محمود منصرفا •• ودخلت نادية كأنها تنتظر انصرافه وقـالت :

ـ سعد •• ألا يمكن توفير حجرة أخرى

أنت تعرف أن محمود يضع بضائعه المستوردة فى الشقة •• وزبائنه يأتون فى أى وقت •• حسـن طالب يريد أن يذاكـر ويستريح

قال سـعد بحزم غريب :

ـ لقد اتفقت مع محمود •• الشقة الآن خالية ولا أحـد يذهب اليها •• .

ثم انسحب لينام وترك نادية جالسة •

قـالت بحـزن :

ـ سترحل •• كنت تؤنسنى

ـ سأعودك من آن لآخر

ـ ارجو أن تبر بوعدك ولا يشغلك التاريخ ••

ـ سأزورك دائما لأتزود بالشعر وبالكتب

قامت بسرعة وعادت ومعها مسرحية مجنون ليلى قدمتها لى قائلة :

ـ هذه هدية .. كتبت لك كلمة فى الصفحة الأولى

فتحت الصفحة .. كانت بها هذه الكلمات :

الى الذى بعث أخى فى قلبى

وجعلنى أعيش يومين جميلين

أهدى هذه المسرحية لعله يستمتع بها

شكرتها بحرارة وقمت أجهز حقيبتى

قالت كأنها أم :

ـ اهتم بمستقبلك

ـ هذه موعظة

ـ لا .. لكن المدينة تختلف عن القرية .. انها غول جبار

ـ لكننى أراها عذراء جميلة

ـ لأنك تنظر الى سطحها فقط .. أما باطنها فانه يغلى كالبركان

ـ دائما تبالغين

ـ لن يضيرك أن تحترس وتهتم بعملك فقط

ـ أعدك بهذا •• خاصة وأن طموحي لا حد له ••

ـ فاجأتني بسؤال بعيد عن حديثنا :

ـ هل تعرف عائلة سعد

ـ طبعـــا

ـ مـــاذا يعملـــون ؟

ـ يزرعون الأرض ثم يحصدونها

ـ ما أجمـــل حيـــاتهم

ضحكت بصـــوت عال وانـــا اقول :

ـ انهم يحسدونكم ويودون أن يطلقوا الأرض والزرع

ـ واهمون •• صدقني أنا أتمنى أن أطير الى هناك

ـ والمدينة والجمرك والغنى

هزت راسها كأنهـــا لم تسمع وواصلت :

ـ هناك حياة وهنا صدى أو ظل باهت للحياة

أريد أن أعيش هناك وأموت هناك وأدفن في ظل صفصافة مائلة على ترعة أو قنـــاه

ـ بدأ الشـــعر يتحرك ••

ـ كلا •• صدقنى أمنيتى أن أعيش فى القرية

ـ على هذا يمكننى تسميتك مجنونة القريـة على غرار مجنون ليلى

ـ آسفة صدعت رأسك بشطحاتى أتركك تستريح ••

ذهبت مع محمود الى الشقة فى الصباح •• وهى فى الدور الثانى من عمارة على بعد خطوات من محطة الشاطبى

تضم غرفتين متقابلتين ومطبخ ودورة مياه

فتح محمود احدى الغرفتين •• لم تكن ضيقة كما كنت أتوقــع

جلت فى أركانها بعينى •• كان هنـاك سرير نظيف عليه ملاءة ناصعة •• وبجانبه منضدة عليها مفرش من المشمع الأزرق ومقعد خيزران ••

قـال محمـود ملاطفـا :

ـ ارجو أن تحوز القبول

ـ انها فوق ما تصـورت فى القرية يقولون انكم تعيشون فى حجرات مثل علب الكبريت لكن هذا القول ثبت خطؤه الآن •

أشـكرك جـدا

ـ الشكر لسعد •• انه أخى

ـ لم نتفق على الايجـار

ضحك بشدة وهو يقول :

ـ قلت ان سعد أخي

انصرف بسرعة •• وجلست أرتب أمتعتى •• صورة ناديه وهى تودعنى بعيون مخضلة بالدموع تتأرجح أمامى ••

لقد أضيفت الى قائمة تفكيرى بجانب أمى وأبى والشيخ جـابر ••

٥

توقفت أمام باب المدرج الكبير أتأمل اعلانا كبيرا يدعو طلاب الكلية من أبناء الريف للاجتماع بعد المحاضرة لتكوين أسرة أبناء الريف ..

كانت محاضرتى فى القسم .. ذهبت الى هناك .. وشغلت طوال المحاضرة بالاعلان والأسرة .. وكنت أول المنصرفين بعد نهايتها ..

هرعت الى المدرج الكبير .. كان بعض الطلاب قد سبقونى .. اتخذت مكانى فى الوسط وبدأت هوايتى فى تصفح الوجوه ..

كلها ريفية طيبة .. مضت فترة وجيزة .. ثم خيم الصمت فجأة عندما دخل شاب لم يتجاوز العقد الثالث

يرتدى حلة أنيقة ونظارة طبية ..

اتخذ مكانه على المنصة .. رسم ابتسامة واسعة على وجهه السمح .. ثم خلع نظارته ووضعها أمامه ..

قدم نفسه بصـوت رقيق متواضـع .. الدكتور سعيد عبد الجواد مدرس بقسم الفلسفة عرج على الهدف من الاجتماع .. بدا صوته يعلو ويصفو وهو يقول بحماس كانه احد خطباء اثينه وقت الخطر :

ـ لا ينبغى للطالب الريفى بأى حال من الأحوال أن يتنكر لأصله عند أول مواجهة مع زميله طالب المدينة ..

انه ان فعل ذلك فسـوف يمزق جذوره وينهار كالشجرة التى نخر فى أصلها السـوس انبرى بعد ذلك يهاجم شـباب المدينة الذين يتهمون شباب الريف بالبله والغفلة ..

تصورته طالبا منكمشا فى ركن قصى وطلاب الاسكندرية المتأنقين يرمقونه بسخرية .. ها هو ذا يحاضرهم .. ترى كيف كان شعوره يوم جاء الى الاسكندرية لأول مرة ؟

هل أكون مثله ؟ من يدرى

هو نفسه لم يكن يتصور مصيره هكذا ..

انتقل شعورى كله فى لمحـة الى بيتنا .. كأنه يريد أن يخبر أمى وأبى برغبتى فى أن أصبر مثل الدكتور سعيد ..

جذبت انتباهى بشدة •• وعدت أتابع حديثه •• كان يتكلم عن سمات الشخصية الريفية وأبرزها ــ فى رأيه ــ التعاون الصادق والأصالة ••

أدرت فى رأسى هذه المعانى •• انها صادقة •• نابعة من معايشة •• لابد أنه لمس التعاون بنفسه عندما رأى أهل قريته يهرولون يوما بأقصى سرعة لينقذوا جاموسة زلت قدمها وسقطت فى بئر الساقية أو رآهم يلقون بأنفسهم فى لهيب النار المستعمرة ليخمدوا حريقا دون انتظار لقدوم المطافىء •• فقدومها فى نظرهم عار وشنار وانتقاص من كرامتهم •

أين هذه الروح من روح أهل المدينة الذين يمثلون مشاهد يوم القيامة أصدق تمثيل •• لكل منهم شأن يغنيه •• ولم يكن الأسطى صابر الحلاق مبالغا حين أقسم بالطلاق أنه رأى بعينى رأسه رجلا مزقه الترام ولم يتطوع أحد حتى بتغطية جثته •• كانوا يمرون عليه دون أدنى اهتمام كأنه دجاجة نافقة ••

الدكتور سعيد لازال يتحدث ••

انه يقترح اصدار مجلة بعنوان (الأصالة) تكون لسان حال أسرة أبناء الريف ••

قال موجها حديثه الى الجميع :

ـ من يرد الاشتراك فى تحرير المجلة يقدم اسمه للزميلة عايـدة

هى التى ستتولى الاشراف عليها

ثم التفت الى نهاية المدرج وقـال :

ـ لم تجلسين فى الخلف يا عايـدة •• ؟ قفى ليعرفـك الجميـع ••

أدرت رأسى لأراها •• كانت فتاة ممتلئة القوام قليلا •• تكسو بشرتها سمرة محببة •• الجرأة تطل من عينيها على البعد •

شكر الدكتور سـعيد الطلاب وتمنى لهم عاما سـعيدا وانصرف بعد أن حدد موعد اللقاء الثانى •• وشيعه الجميـع بالتصفيق ••

تجمعنا أمام بـاب المدرج •• نتحـدث فى كل شىء •• ونتعارف •• وقفت عايدة بيننا تناقش بأسلوب قوى متحرر •• كأن محور حديثها عن الريف •• وحياته •• أذكر أنها كانت تتحدث ضاحكة عن زميل لها من الاسكندرية يمتلك أبوه صالة لبيع السيارات صادقها أياما • ثم سألها مرة كيف تقضى وقت فراغها فى الصيف ؟

فاجابته فى هـدوء :

أجمع روث البهائم وأجففه على السطح ليصير وقودا

وأكدت عايدة أن زميلها هـذا أشاح بوجهه كأن رائحة الروث زكمته ولم يعد يحادثها ••

قـلت متدخـلا :

ـ صدقيني يا آنسة رائحة الروث هذه تعيد التوازن الى نفسي ولا أبالغ اذا قلت انى افتقدها ••

ابتسمت ردا على كلامى وعدت اقول :

ـ الآنسة عايدة فى قسم التاريخ ؟

ـ كلا •• أنا فى السنة الثانية قسم فلسفة

ـ التاريخ والفلسفة ابنا عم

ـ لا •• الفلسفة أم العـلوم

قالت ذلك وضحكت بصوت عال •• قلت متسائلا :

ـ متى ستصدر المجلة

ـ عندما تكتمل موادها •• اذا كان لديك أى مـادة أحضرها

قلت فى خجـل :

ـ وأين أجـدك ؟

ـ دائما فى القسم •• أو فى المكتبة ••

بسطت ورقة أمامى •• أحــاول أن أكتب مقالا لمجــلة (الأصالة) وبعد لحظــات من التفكير استقر رأيى على عنوان المقال •• وكتبت بسرعة فى أعلى الورقة

(الأخــلاق الريفيــة)

بدأت أستدعى أفكارى •• لكن صوت الباب وهو يفتح من الخارج جعلنى أقفز من الرعب دخلت فتاة طويلة القوام •• وجهها مصبوغ بطريقة متكلفة •• خطت الى الداخل بثقة كأنها فى بيتها وقفت مشدوها لحظة

قالت وهى تهز حقيبتها باستهتار :

ــ محمود موجود ؟

ــ محمود من ؟

ــ الحــلاق

قلت فى حــزم :

ــ لا •• أنا هنا وحدى

ــ أتعمل معه ؟

ــ أنا طالب فى الجامعة وهذه حجرتى ••

تحركت بخلاعة ••ودخلت حجرتى بلا استئذان •• جلست على المقعد بطريقة مثيرة واضعة ساقا فوق الأخرى ••

مدت يدها فتناولت الورقــة الموضــوعة على المكتب ••
وضعتها مرة أخرى قائلة :

ـ أنت من الريف ؟

قـلت بضـيق :

ـ ألا يبدو ذلك على وجهى ؟

ـ الوجوه ليست بطاقات شخصية

ـ من أنت •• ؟

ـ قريبــة محمــود ••

ثم ضحكت بصوت عــال وقالت :

ـ يبدو أنك ريفى بالفعل

أغضبتنى هــذه الكلمات •• ترجم وجهى الغضب بلون
أحمر اكتسى به على الفور ••

قـلت بغيـظ :

ـ أريد أن أذاكر •• محمود ليس هنا ••

قامت متكاسلة •• اتجهت نحو الغرفة المقابلة •• أخرجت
مفتاحا من حقيبتها •• فتحت الغرفة ودخلت ••

ـ من هــذه الفتــاة ؟

لمــاذا تركتها تدخل •• لابد أن أطردها ••

ارتعشت يداى •• جلست أحملق فى عنوان المقال اليتيم ••

لا أدرى لمــاذا أعادت هذه الفتاة الى صــورة نجية •• صوتها •• وجهها •• مالك الآن ونجية ؟

ان فتاة غريبة توجد معك تحت سقف واحد

قم واطردها •• لكن •• انها تحمل مفتاحين •• لابد أن لها تجارب مع الشقة •• انها تتصرف بتلقائية •• ربما كانت قريبة محمود فعلا ••

عادت صورة نجية تفرض نفســها

ما الذى يجمع بينهمــا •• ؟

هل فرحت فى أعماقك لوجود فتاة جميلة معك وحدها تحت سقف واحد •• لم لا تطردها •• ؟

آه •• تريد أن تعوض المقلب الذى شربته من نجية ••

هل تنكر ذلك يا امــام المصــلين •• ؟ ليس الموضــوع ببعيد •• انك تذكره تماما تذكر وقوفك بجانب بيتها كاللص تخشى أن يراك أحــد ••

ترى ماذا كنت تقول لخفــير الدرك لو رآك على هــذا الحــال ••

ما الذى يجعل هـذه الذكرى تلح على عقلك وتسـيطر عليـه ..

ما الذى يجعلك تستعيد صورتك وأنت تطرق بابها .. كنت مخبولا .. غاب عقلك ضللتك حينما آكدت لك أن زوجها ينام من المغرب

لكن حظك التعس جعله يؤثر السهر هـذه الليلة .. وفتح الباب بنفسه ماذا قلت له ؟ لا تذكر .. آه أيها المراوغ ..

كل ما تذكره أنك انسحبت .. بعد أن بررت زيارتـك بكلام غير متسق ..

والرجل الطيب يصر أن تدخل وتشرب الشاى ..

يثق بك .. ويصلى خلفك ..

من يومها لم تعاود الكره ..

ما الذى جعل سعد الزناتى يسألك عن نجيه ؟

كاد ينتزع منك اعترافا بالفسـق .. لكنـك أجـدت المراوغـة ..

الفتاة الجالسة فى الحجرة المقابلة تغريك بمعاودة الكرة .. لها نفس ابتسامة نجيه ، واذا كان زوج نجيه حال بينك وبين أحضانها الدافئة ـــ التى يبالغ المجربون فى اطرائها ـــ فالفتـاة أمامك لا يمنعها عنك مانع

ابتسامتها مشجعة •• جلستها مغرية •• تقدم •• أطرق البـــاب

وقعت عيناى على عنوان المقال (أخلاق الريف) نحيتـــه بعنف واستسلمت لأفكارى ••

شيء رهيب يغلى فى داخـــلى •• حرارة لافحـــة تهب على وجهى •• قلبى يثب بشدة حركت زر الراديو الصغير •• أحاول أن أغير الجو المحيط بى

انبعثت منه تمثيلية مشبوبه •• قبلات تأوهات عناق •• أدرت المؤشر بعصبية •• لست فى حاجة الى مزيد من الاثاره ••

الساعة تدق العاشرة •• سأنام •• أطفأت النور •• سحبت الغطاء فوق جسدى أغمضت عينى •• لكن صـــورة نجيه أمامى تهز ردفيها •• تغمز ، بعينيها كعادتها تذكرتها يوم قابلتنى على الطريق الزراعى •• قلت لها برقه :

ــ أين أنت يا نجيـــه ؟

ــ فى البيت يا روحى

ــ أريد زيارتك

ــ ليكن جيبك عامرا

ــ هذا أمر يسير •• لكن زوجك ؟

قهقهت بشــدة وهى تقول :

ـ لا تحمل همه •• انه ينام من المغرب

ثم اردفت ســاخرة :

ـ انه معجب بدروسك بعد العصر يا شيخ حسن

ورقصت حاجبيها وهى تقول :

ـ خذنا على جناحــك

حاولت أن أزيح صورتها •• استحضرت صورة الشيخ جابر •• لكن صورة نجيه بدت غاضبة •• لطمت صورة الشيخ جابر على فمها بقوه •• هربت صورة الشيخ جابر •• لا أمــل فى النوم •• جلست على السرير •• أدرت مفتــاح النور •• غمر الضوء الحجرة •• فتحت الراديو ثانية ••

التمثيلية لازالت مستمرة •• البطلة تبكى •• البطل يحاول تهدئتها بالقبلات

رأسى ثقيل •• عينــاى نصف مغمضتين •• انزلقت على الأرض •• تمطيت •• تثاءبت •• شعرت برغبة فى الذهاب الى دورة المياه •• سرت فى حذر •• الحجرة المقابلة مضاءة •• وقع خطواتى واضح فى سكون الصالة •

عدت الى غرفتى •• تراجعت •• وقفت أمام بابهــا •• تحركت الى المطبخ ••

تناولت قطعة جبن فائضة •• وقفت أمام بابها مرة أخرى •• يدى تطرق الباب فتحت بسرعة •• كأنها كانت تنتظر

ـ مســاء الخــير

ـ أهـــلا

دخلت بلا استئذان •• كانت قد ارتدت قميصـا خفيفا ينحسر عن ركبتيها •• شعرها يسيل على كتفيها •• تبدو فى جملتها كتمثال لاحدى ربات الجمال ••

خاصة بعد أن أزالت المساحيق ••

ـ لمــاذا تسهرين حتى الآن ؟

ـ النوم يخاصمنى اذا غيرت مكانه

ـ لم تغيرينه ؟

ـ ظــروف

ـ رأيت النور فى حجرتك فأردت تسليتك ••

ـ شـــكرا •• اجلس

جلست على السرير الأنيق •• أثاث الحجرة فخم •• سرير على شكل طائر •• بجانبه مشجب •• ثلاثة مقاعد كبيرة

قدمت لى سيجارة •• اعتذرت

ـ هل تعرفين سعد الزناتى ؟

ـ وأعمـل معـه

ـ فى الجمـرك ..

انخرطت فى موجة ضحك أعقبتها نوبة سعال

استلقت على السرير .. وقالت هامسـة :

ـ ما اسـمك

ـ حسـن

ـ ارجوك اطفىء النور .. أريد أن أنـام ..

قمت متثاقلا وقلت فى ياس :

ـ أتنامين مبكره هكذا

ـ حسب الأحوال .. اطفىء النور .

لهجتها آمره .. هل أخرج هكذا بلا حمص ..

ما دامت تتدلل وتكابر فلا أقل من احراجها وسؤالها عن هويتها :

ـ أليس من الواجب أن أعرف أولا سبب وجودك هنا

رفعت عينيها قائـلة :

ـ ألم تحضر فتيات غيرى من قبل

ــ كلا أنا هنا منذ ثلاثة أيــام ..

ــ تصبح على خير

ــ ارجوك أريد أن أعرف حكايتك

ــ يا محترم اطفيء النور

ــ ليس قبل أن أعرف

ــ تعال هنا بجانبى

جلست ووضعت يدها على كتفى وقالت بهدوء

ــ أنا فتاة بالقطعة .. هل تفهم .. بالايجار .. محمود الحلاق هو الذى يؤجرنى ، واذا كنت تريد أن تؤجرنى الليلة فلا مانع .. رغم أننى متعبة

لذت بالصمت .. تتابعت دقات قلبى بشكل غير طبيعى .. عادت تقول :

ــ من أجل خاطر محمود لن أدعك تدفع شيئا .. هيا .. لتتركنى بعد ذلك أنــام ....

٦

أشعر بضيق يقتحم مشاعرى .. احساس رهيب بالندم يتصاعد داخل نفسى .. لم أغد أجرؤ على التفكير فى القرية ..

الشيخ جابر آه لو يعلم .. لو بقيت فى الشقة سأصاب بالهوس ..

ما الذى حدث لى .. ؟ حقيقة كنت أتوق الى ما حدث من سنوات .. كنت أدور حول بيت نجيه فى الليالى الدامسة .. عرفت الآن فقط فضل الفشل فى تلك المحاولات ..

كنت أنسى وأضحك من نفسى .. لم أجرب الشعور الجارف بالندم بعد الخطيئة ..

كيف انحدرت هكذا عند أول فرصة .. نصيحة أبيك لا تزال ساخنة

(كن رجلا كعهدى بك)

أين الرجولة •• انك صفر على الشمال •• ضعيف مسلوب الارادة •• هل أدركت الآن انك منافق ••

يجلجل صـوتك يوم الجمعة بالمواعظ •• وتطرق باب مومس فى منتصف الليل •• لتنام معها بمنتهى السهولة ••

اننى مظـلوم •• الاغـراء كان أكبر منى •• لم أتعود المواجهة •• كانت مغامراتى كلها فاشلة •• لم أقو على طرد الفرصـة السانحة ••

وقعت فى براثن عصابة •• اننى أعيش فى ماخور ••

لمع عنوان المقـال الملقى فى اهمال كأنه يسخر منى

سأواجه سعد الزنـاتى بكل ما حـدث •• سأصرخ فى الشـارع ••

هـذا هو الجمرك ••

هذه وصية أبى التى أرسلها له معى ••

قالت أمى انه شهم •• ترى لو علمت الآن •• ماذا تفعل ؟

ستخرج الى شوارع القرية تصرخ وتولول ••

خرجت من الشقة •• حلقى مر •• سأذهب الى سعد ••

سأواجهــه •• وأفضحــه على منبر مســجد ســيدى عبد العاطى •

ركبت الترام •• شعور بالسخط سيطر على عقلى •• لم أشعر بالمسافة ••

صعدت السلم قفزا •• فتحت لى ناديه •• كانت ترتدى مريلة المطبخ •• ورائحة البصل تسبقها •• حيتنى بشوق •• فى الصالة كان يجلس رجل مهدم •• حييته بقرف •• فرد بصوت له رصيد فى أذنى •• قالت ناديه مشيرة اليه : أبى •• دخلت معى حجرة الصالون والبصلة فى يدها قالت قبل أن أتكلم :

ــ كيف حالك ؟

ــ قلت بحده

ــ ليس كما يرام

ــ ألست مستريحا ؟

ــ يبدو أننى سأكون ضحية

ــ ضحيــة من ؟

ــ أين ســعد ؟

ــ خــرج مبــكرا

ــ الى الجمرك أليس كذلك ؟

لمست تغيرا فى نبرتى فقالت :

ــ حسن •• مــاذا جرى

ــ أريد أن أرى سعد •• الآن

ــ ألا أكفى أنــا

ــ لا أدرى

ــ ما هذه الألغاز •• مــاذا حدث ؟

ــ كل ما فى الأمر فقدت شيئا هاما

ــ نقــود ؟

ــ كرامــة •• شرف

ــ أين سقطت منك هذه الأشياء الغالية ؟

ــ فى الحجرة التى أهديتموها الى

ــ مــاذا حدث •• قــل

ــ أنا أجزم انك تعرفين كل شىء ••

لمحت دمعة صغيرة تلمع فى عينيها •• منعتها بسرعة وهى تلعن البصل •• قالت بقلق :

ــ حسن •• أخبرنى ارجوك

ــ أريــد زوجــك

ـ هــل زارك أحــد ؟

ـ تقريبــــا

ـ كــدت أفهــم

ـ ومــاذا بعــد

ـ ارجوك •• سأجد حــلا ابق فى حجرتك وسأزورك ••

ـ لن أبقى

ـ من أجل خاطرى •• سأدبر الأمر بأقصى سرعة

اقتربت منى وقالت :

ـ حسن •• لقد قلت لك انك مثل أخى •• ثق بى

نهضت دون أن أودعها وقد تجمدت مشاعرى ••

***

تناولت غذائى فى معطم الكلية ••كانت الساعة قد جاوزت الواحدة بقليل ••

اتجهت الى المدرج الكبير •• حضر أســتاذ الحضــارة اليونانية ••رغم شغفى بالمحاضرة شردت تماما •• شاهــدت جسد وفــاء العارى يسبح أمامى فى الحجرة كأنه لوحة ضخمة فاضحة رسمها فنان اباحى •• وخلفه تقف ناديه ودموعها تبلل أهــدابها ••

شعرت أن الطلاب جميعا يرون الصـورة •• ويرمقوننى باستنكار وأنا أخملق فيها ••

نكست رأسى وأصخت سمعى للأستاذ •• كان يتحدث عن جمعية أثينة التشريعية ••

يجب أن أنتبه •• بدأت أسجل بعض الملاحظات ••

لكن صراعا احتدم فى داخـلى فجأة •• لمـاذا لا أترك الحجرة فورا •• لم التريث ؟

ان كل يوم فيها خيانة لأبى المصدور •• لن أطيع ناديه ••

انهم يتسترون خلفى •• يجعلوننى واجهـة يذرون بهـا الرماد فى العيون ••

ماذا تفعل لو داهمك بوليس الآداب واقتادك كالقوادين ••

لن تجد من يحميك •• القانون لا يحمى المغفل •• ناديه التى تدمع عيناها الآن لن تقول كلمة فى صفك •• اترك هـذا المـاخور فـر ، بجلدك ••

آه ناديه الشعر والكتب •• اللعنة ••

أين أذهب ؟

لن تعدم مكانا يأويـك لو فى بدروم أو جاراج •• المهم تنتشل نفسك

كفاك سقطه •• لو علم أبوك لتبرأ منك على الملأ ••

ناهيك عن الشيخ جابر الذى لن يكفيه قراءة الورد ألف مــرة ••

اهرب •• لا تضعف ••

ان مداد العنوان المؤثر (أخلاق الريف) لم يجف بعد •• يجب أن تغيره الى (أخــلاق المومسات) ليكون أكثر تعبيرا عنــك ••

الأستاذ ينهى المحاضرة •• نهضت متكاسلا •• ما أشدك يا نفسى تقريعا •• أين تكونين ساعة وقوع المحظور ••

عند الباب قابلت زكريا صديق من ميت غمر •• طيب •• نقى عندما يمد يده لى أشعر كأنه يقدم لى قلبه •• لا أشــعر انه غريب عنى

ـ زكريا أين تســكن ؟

ـ فى كامب شيزار

ـ وحــــدك ؟

ـ معى زميــل

ـ ألا يوجد لى مكان معكما ؟

ـ يمكننا أن ندبر ذلك

ـ متى ؟

ـ كما تشاء .. لو أردت من الغد سامى زميلنا لن يمانع

ـ أعطنى العنوان

انتقلت الى حجرة سامى وزكريا .. كانت صغيرة .. بهـا سرير واحد ومكتب واحد لا يهم .. نستطيع تدبير أمورنا .. هكذا أكد زكريا وأمن عليه سامى ..

التوتر خفت حدته .. أشعر الآن ببعض التوازن

لن أذهب اليوم الى الكلية .. تناولت افطارى .. جلست فى هدوء اراجع محـاضرة الأمس .. كانت عبارة عن كلمـات متفرقة بينها فراغـات عديدة هى اللحظـات التى كنت أشرد فيهـا ..

تذكرت المقال .. لقد ضاعت الورقـة .. سحبت ورقـة أخرى .. كتبت فى وسط السطر (أخـلاق الريف) دمعـة ساخنة انحدرت من عينى ..

شعور الأمس عاودنى .. نحيت الورقة جانبا .. لا أجد كلاما أكتبه .. شطبت العنوان بغيظ كاننى أشطب صفحة من حياتى .. سأكتب عن متناقضات المدينة .. ذهنى يتحفز .. يلقى بالكلمات متلاحقة ..

***

كتبت عن التفكك والتنافر بين سكان المدينة .. وأسهبت فى أثر ذلك على سلوكهم وحياتهم اليومية .. كنت أفرغ غيظى .. رضيت تماما عن المقال .. قررت بعد قليل أن أذهب به الى عايدة ..

اتجهت الى قسم الفلسفة .. طلبة السنة الثانية لديهم محاضرة لن تنتهى قبل نصف ساعة .. وقفت أحملق فى المكان .. أمامى على الحائط مجلة جيدة الاخراج .. فرصة لتضييع الوقت .. مقال عن فلسفة الجمال يؤكد أن الجمال نسبى ومقاييسه نسبية كذلك .. وصلت الى توقيع الكاتب انها عايدة

مقال آخر عن (كانط) كلام معقد .. انتقلت الى مسابقة العدد .. فزورة أنا لا أطيق الأرقام .. لأجرب .. حسبة برمة ضرب قسمة .. ضبقت بسرعة لم تمض سوى خمس دقائق ..

سأذهب الى مكتبة الكلية لأستعير كتاب (نظام الاثينيين) للدكتور طه حسين

أستاذ اليونانى أوصانا بذلك ..

عدت الى القسم .. أقلب صفحات الكتاب .. وأخيرا فتح الباب .. لمحت عايدة تشق طريقها وسط الزحام اقتربت منها وقلت مبتسما :

ـ مســاء الخــير

رفعت عينيها وقالت تتفحصنى :

ـ مســاء الخــير

ثم تذكرت هيئتى فاتسعت ابتسامتها وقالت :

ـ عاشق التاريخ أليس كذلك ؟ جهزت المقال ؟

مددت يدى به .. تناولته بسرعة وهى تنظر الى الكتاب فى يدى وقالت ممازحــة :

ـ أخشى أن تنسى هويتك وتتقمص شخصية تاريخية

ضحــكت وقــلت :

متى ستصــدر المجلة ؟

ـ غدا .. لقد اكتملت موادها ..

بدات تقرا المقال وتهز راسها .. ثم قالت بعد ان اتمته :

ـ هائل .. ستكون صفعة لطلاب الاسكندرية .. انك **ريفى قح**

ـ وأنت

ـ أشد منك ريفية

ـ لكننى أخشى المدينة

ـ ألم تسمع كلام الدكتور سعيد •• يجب أن تصمد وتحتفظ بأصالتك ••

ـ لكن المدينة غول جبار ••

ـ يا ساتر

ـ نعم •• نحن فى القرية بعيدون عن المواجهة •• ظروفنا تحتم علينا الفضيلة ••

أما هنا ••

قالت محتجة :

ـ معنى هذا أن الفضيلة ليست من صفاتنا •• لكنها ظروف البيئة

ـ هذا بالنسبة لى على الأقل

ـ لست معك •• الانسان مسئول عن عمله فى القرية أو فى المدينة والفضيلة لا تتجزأ ••

ربما ••

ـ على الرغم من اننى لا أعرف اسمك حتى الآن الا اننى مسرورة بحديثك •• تنقلنى بسرعة الى جو الريف الهادىء

ـ حسن •• حسن عبد الكريم

قالت وهى تتحرك منصرفـة :

ــ أرجو أن تحضر غدا لتقف معى أمام المجلة

***

وضعت المجلة أمام مدخل الكليــة •• ووقفت عايدة تناقش الزملاء فى المقالات وكانت منهمكة فى حديث حاد مع أحد الطلاب •• كنت أتابع حديثها وصـــوتها الواثق يتسلل داخــل نفسى •• يستقر فى أعماقها فينعشها كأن مــاء النيل ينفذ فى شقوق الأرض العطشى ••

ليتك يا أمى ترين عايدة •• ستبهرك بجمالها الهـادىء وابتسامتها الآسرة أتصورك تهمسين فى أذنى

ــ هذه عروسك التى تمنيتها فى أحلامى ••

جحظت عيناى فجأة وأنا أرى (ناديه) قادمة نحوى بخطى مسرعة •• حاولت أن أخفى وجهى فى المجلة لكنها كانت قد حددت موقعى واقتربت منى ••

ثم أشارت بيدها •• لم أستطع تجاهلها •• كانت عايدة لا تزال تتحدث بصـــوت عــال ••

قالت ناديــه غاضــبة :

ــ لم تستمع الى •• وغادرت الحجرة

طأطأت رأسى دون أن أرد

قــالت بحــزن :

ــ كل ما ارجوه ألا تسيء فهمى ولا تغير أفكارك عنى •• ان ذلك يضايقنى كثيرا

ثم بدت كانهــا ستبكى وقــالت :

ــ قلت لك من قبل انك مثل أخى

شعرت برغبــة فى أن أثور فى وجهها وأطردها •• لكننى تماسكت •• عادت تقول :

ــ سعد غضب جدا •• لقد تشاجر مع محمود وقاطعه

قلت ببرود •• محاولا انهاء المقابلة :

ــ لا تخافى •• لن يعرف أحد فى القرية شيئا

ــ ليس هذا مقصدى •• لقد أخطأت فهمى •• لمــاذا تركت الحجرة ؟

ــ حتى لا أصير قوادا تتسترون خلفه •• اننى فلاح

ــ ولمــاذا قضيت ليلتك مع الفتاة الساقطة ؟

تصاعد الدم الحــار الى وجهى وقلت بغلظة :

ــ انا بشر

ــ كلمة بشر ليست مرادفة للخطيئة

قلت كاننى أصرخ :

ـ لعل هـذا جزء من خطتك أنت وزوجك •• نوريطى واذلالى لأستمر فى دورى القذر

ـ لا ترفع صوتك •• زميلتك تنظر الينا

كانت عايدة قد فرغت من اقناع الزميل •• وبدأت تنظر نحونا وقلت بغضب وأنا أهم بالتحرك :

ـ مـاذا تريـدين ؟

ـ خذ هذه الأوراق اقرأها على مهل واحتفظ بها

دست فى يدى حزمة أوراق حائلة اللون

قلت فى بـرود :

محـاضراتى أهـم

ـ ارجوك اقرأهـا

انسحبت بسرعة وتركتها فى يدى •• عدت مضطربا الى المجلة •• وأنا أقول :

ـ آسف •• لم أتابع بقية حديثك الممتع

رمقت الأوراق فى يدى دون أن تسألنى عنها ••

٧

أنا نادية .. ابنة جمعه الغلبان .. أبى فقير حتى فى اسمه .. بائع فول سودانى ولب على رصيف محطة الابراهيمية التى صار جزءا منها ..

كنا نسكن على سطح العمارة رقم ١٥ شارع الزنكلون أنا وأبى وأمى وشقيقى عبد الوهاب الذى كان العائل الحقيقى لنا ..

كان بائعا جائلا فى الترام والأتوبيس يبيع الأمشاط وعلب الكبريت والحلوى ..

كنت أنا فى المدرسة .. تلميذة بالصف الثالث الاعدادى .. وكان يدللنى .. يعتبرنى ابنته .. يعطينى بسخاء دون أن أطلب ..

كان يؤكد اننى سأكون طبيبة ذائعة الصيت •• وكنت أنا أتمنى أن أكون شاعرة لا بأس •• أستطيع أن أجمع بين الاثنين ••

كنت أسرح بخيالى •• أرى نفسى مرتدية البالطو الأبيض •• والسماعة الانيقة تتدلى من أذنى •• سأضعها على صدر أبى •• واتفحص كل قطعة فيه •• سأجرى له عملية صيانة وترميم •• وأمنعه من العمل •• سأقذف عربة اللب والسودانى على السطح لتأكلها الشمس كما أكلت هى حياة أبى ••

كانت أمى تدعو لى بالتوفيق وتعيش على الأمل ••

لكن آمال البشر ليست ملزمة للقدر •• جيء بأخى عبد الوهاب ذات يوم محمولا على محفة •• جثة مشوهة اعتصرها الترام •• لا أريد أن أتذكر •• كل ما أستطيع قوله ان هذه الكارثة اسقطت آمالى فى هوة سحيقة مظلمة حفرها الحزن داخل نفسى لم أعد أحس بشيء سوى بالضياع والتمزق

أمى لم تحتمل ••

قررت الرحيل بعد شهرين لتلتقى بوحيدها •• أبى هزته الصدمة بعنف ••

أصبح شــاردا لا يتحدث ..

أما أنا فقد ضعت .. حقا ضعت أصبحت قطة ضالة .. لا صاحب لها .. تركت دروسى .. نقمت على كل شيء صرت على حافة الكفر .. استغفر الله العظيم ..

أكثر من مرة حاولت الانتحار .. كانت هناك قوة خبيثة تتمسك بالحياة الســوداء فى داخلى .. وتمنعنى فى اللحظــة الأخــيرة ..

جربت القراءة .. تلذذت بها .. أدمنتها ..

صرت ألتهم الكتب بنهم غريب وأبحث عنها فى كل مكان.. فى المكتبات .. على الأرصفة وعند باعة الروبابكيا .. قرأت فى كل شيء ..

شعرت بحب جارف للشعر .. اعجبتنى الخنساء .. قصتها تشبه قصتى .. وان كان أخوها مات فى حرب ضروس فان أخى مات فى حرب الحياة التى لا تنتهى .. حقا .. لولا كثرة الباكين حولى لقتلت نفسى ..

نسيت نفسى فى تيار القراءة .. استرحت قليلا .. أصبحت أكثر هــدوءا ..

جاء الامتحان .. تصوروا اننى قررت الذهاب اليه

هكذا بدون تحصيل أو استعداد .. وتصوزوا كذلك انني نجحت

لا أعرف أن الأمر لم يكن يختلف عندك كثيرا لو رسبت لم تعد لدى آمال ..

قررت البقاء فى البيت .. لن أكمل .. سأعيش مع الكتب لم يعبأ أبى بشىء ..

فى هذه الفترة ظهر محمود الحلاق ..

كان دكانه فى أول الشارع .. أخى زبونه الدائم ..

وعندما مات .. رأيته يقف بجانب أبى .. أقرضه مبلغا .. ولم يطلبه منه

أصبح يتردد علينا ويعرض خدماته ..

عندما ماتت أمى .. أقرض أبى مبلغا آخر دون أن يذكر الأول . ووقف يتلقى العزاء كأنه من العائلة ..

لن أطيل ..

كنت أتحدث معه وأحترمه .. وكان يترك دكانه للصبى ــ أحيانا ــ ويقف معى أمام عربة اللب والسودانى عندما يذهب أبى لبعض شئونه ..

كنت أحدثه كأنه عبد الوهاب ..

لكنه بدأ يغازلنى •• يحدثنى عن الحب •• بل انه أصبح يهدينى بعض وسـائل التجميل الساذجة من الفازلين والكريم الرخيص ••

كنت أفرح بهذه الأشياء وأحفظها بعيدا عن عينى أبى

شعرت بعواطفى تستيقظ فجـأة لتجد محمود أمامها •• أحببته •• نعم بكل الاخـلاص ، وبكل القوة •• حب جـارف أكثر من حب الروايات الخـالدة التى قرأتها ••

أصبحت أثق فيه •• ولا أكتم عنه سرا حتى أصبح يشترى لى ملابسى الداخلية وعدنى بالزواج •• ورسم لى صورة رائعة لبيت هادىء وصدقته ••

وتعاونت معه فى اكمال الصورة •• منيته بحياة رائعة •• هادئة •• يشهد على صدقى البحر الذى سرنا على حافته ساعات طويـلة ••

المهم •• جاءنى ذات يوم وأنا واقفة أمام العربة •• طلب منى أن أذهب معه الى شقة الشاطبى الجديدة لأراها وأتأكد من ذوقـه ••

ورغم سذاجة الحيلة •• صدقته •• أنا القارئة المثقفة ••

لم يتسرب الخوف الى •• كانت ثقتى به كبيرة •• ذهبت

معه •• جلس جانبى •• التصق بجسدى •• حاولت آن أبعد أصابعه التى بدأت تعبث برعونة فى لحمى ••

قمت اتفقد الشـقة •• نهض ورائى وأنفاسـه تتلاحـق كالكلب •• أمسك يدى •• ضغط عليها •• يده الأخرى امتدت الى صـدرى ••

تصـاعد الدم حارا الى عنقى ووجهى •• تملصت منـه ورسـمت تعبـيرات الغضب على وجهى ليهـدأ ويجلس دون جـدوى ••

عاد يلتصـق بى يطوقنى بعنف •• يؤكد لى حبـه وقرب يوم الزواج ••

قبلنى على خـدى •• لم أدر كيف اتصرف •• استدرت خارجة •• سد الطريق ••

أمسك وجهى بقوة •• قبلنى فى شفتى •• شعرت بسخونة أنفاسـه •• احتوانى شـعرت بالخوف •• يداه كالحديد •• ألقانى على الأرض

قاومت •• استعطفته •• لم يستمع •• مزق ملابسى •• وافترسنى ••

وفروا مواعظـكم • أعـرف ما تقولون فى مثل هـذه الحالات ••

خرجت مهرولة •• مهوشة الشعر •• جريت فى الشارع حتى وصلت الى البيت ••

لم أستطع النوم ••

لماذا فعل هذا ؟

هل تصدقون اننى الى هذه اللحظة كنت مطمئنة له •• التمست له عذر الطيش •• رعونة الشباب ثم قلت لنفسى •• لا ضير أن يتذوق الانسان فاكهة سوف يشتريها •• منطق مخادع حاولت ارضاء نفسى به •

أنا لست خاطئة •• لم استطع المقاومة •• كنت كالفرخ الهزيل بين مخالب النسر •• أصبحت امرأة •• لكن محمود سيتزوجنى •• وبسرعة •• هو أكد ذلك ••

حاولت أن أحدثه لم يأت •• تعلل بالعمل وضغطه •• لم يعد يأتى الى العربة •• ولم يعد حتى يزور أبى ••

من المسئول عما حدث ؟ أنا أم محمود ••

اننى أعرف نفسى •• أنا طيبة •• نقية •• كنت أريد أن أكون طبيبة أو شاعرة هأنذا عاهرة •• ارحمنى يارب ••

٨

من يحمينى ؟ ويستر زلتى ؟

أبى يعيش فى عالم بعيد •• وأنا وحيـدة مع أفـكارى السوداء ••

أكاد ألحق بأخى وأمى •• محمـود لا يتحدث معى •• يشيح بوجهه عنى •• لاحقته مرة •• تعلقت بقميصـه ضحك ساخرا وهو يقول :

ــ مـاذا تريـدين ؟

ثم جذب نفسه ومضى كالسهم قائلا فى وقاحـة :

ــ عندى لك عمل يدر ذهبـا

أحسست بطعنة هائلة •• جسدى يذوب يتهدم •• صرت شــبحا ••

هل أخبر أبى لينتقم لشرفه ثم يقتلنى ••

مــاذا يفعل مثل هــذا المحطم ؟

يارب لا تتركنى •• لقــد ابتعدت عنك كثيرا لا تتخــل عنى •• يكفى ما حدث

وبعد أسبوع وصــل سعد الزناتى ••

شاب فقير •• جاء ينشد الثراء •• كان الوقت عصرا •• كنت واقفة مع أبى أمام العربة •• نزل من الترام شاب ريفى يحمل قفه على كتفه ••

جاء يهرول ناحيتنا وقــال بخجل :

ــ ألا توجد حجرة خالية هنا ؟

ووجدت ابى يقول بلا تفــكير :

ــ لدينــا حجــرة .

سحبه من يده الى شقتنا فوق السطوح •• وأعطاه غرفة أخى عبد الوهاب ••

لم أعترض •• كنت أعرف حــالة أبى •• انــه لا يمتلك شــيئا ••

لماذا أسموه الغلبان ؟ هل كانت نبوءة بصفة الأسرة كلها ..

عاش سعد معنا .. ومن اليوم الأول أعترف بصراحة انى قررت الاستيلاء عليه لابد أن يتزوجنى

ألم يغتصبنى رجل .. لابد أن يتحمل فعله أحد أبناء جنسه ..

كنت أهذى .. لا أدرى الصواب من الخطأ .. المهم اغطى فعلة النذل .. الجبان لكن سعد يتعثر فى الحصول على عمل .. انه يستطيع أن يوفر قوت يومه .. بالكاد كنت أراه مهموما حزينا ..

يبدو أن أحلامه تهاوت .. كان ينتظر الثراء على المحطة .. لكن ما ذنبى

لابد أن استدرجه .. قد يطير ..

استمر الصمت بيننا أسبوعين .. لن أنتظر أكثر من هذا ..

وفى يوم .. كنت خارجة لتوى من الحمام وشعرى لايزال مبللا .. كنت أرتدى قميصا بدون أكمام يكشف جزءا كبيرا من صدرى وظهرى .. طرق الباب وهو يسعل على عادة أهل الريف فى التنبيه .. فرصة .. قررت أن أبدأ وبسرعة ..

فتحت الباب دون أن أصلح من هيئتى •• وقف يحملق فى وجهى ••

ابتسمت له •• ابتسم فى خوف قلت بدلال :

ـ يبدو عليك السرور

ـ وجدت عملا بشركة البطاطين ••

ـ هائل

أمسكت يده كأننى أهنئه •• شعرت بها ترتعش •• احمر وجهه

ابتسمت وقلت بصوت خافت مثير :

ـ خائف ؟

عز عليه هذا الوصف فقال متحمسا :

ـ وممن أخاف ؟

وحاول أن يبدو شجاعا فضغط يدى ووضع ذراعه حول رقبتى ••

قلت له بجرأة :

ـ ألا تنوى الزواج ؟

ارتبك ولم يرد •• قربت وجهى منه كأننى أقدمه له ••

رأيته يخفى وشم العصفور بيده وتلاحقت أنفاســه ثم طوقنى بذراعيــه

قلت فى صوت مرتعش : سعد .. أبى قد يأتى ..

شجعه الامتناع وهوى بشفتيه على خــدى .. اشتعلت رغبته .. فتملصت منه لأزيدها اشــتعالا .. جرى ورائى .. احتضننى وألقانى على الأرض .

لا داعى لاحتقارى .. اننى أحمى نفسى ..

قام الى حجرته دون أن يتحدث .. لم أقابله لمدة يومين .. وفى الثالث قابلته على السلم وأخبرته بدون مقدمات اننى لم أعد عــذراء

نظر نحوى بعين زائغــة وقــال بضعف :

ـ سأتحدث الى أبيك ..

وبعد شهرين أصبحت زوجته .. لم يدفع مهرا ولم يشتر جهــازا ..

تزوجنا على سرير أمى وهو يظن نفسه أول رجل فى حياتى

ترك أبى الشقة واستأجر حجرة أخرى فى بدروم عمــارة مجــاورة ..

وعشت مع سعد .. ولم يحاول أحدنا أن يتذكر ما حدث قبل الزواج ..

***

أمر هام يشغلنى هذه الأيام .. ويدفعنى الى الكتابة

محمود الحلاق بدأ يتقرب الى سعد بصورة ملحوظة .. يجلس معه طويلا زارنا مرتين .. انه يغمز لى بعينيه .. ويبتسم ابتسامة ذات مغزى يجب أن أبعد زوجى عنه ..

لكنه يزداد تعلقا به .. هـذا الكلب .. هل يخبر زوجى بما حدث .. ؟

انه ريفى وربما تثور فيه النخوة فيطلقنى ..

صبرت على مضض .. جاءنى سعد صبيحة أحد الأيـام ووجهه متجهم قال كأنه يلقى قنبلة :

ــ تركت الشركة

اسقط فى يدى .. تراقصت صورته أمامى كأنه ظل شخص فى المـاء

قلت بدهشة : لم ؟ .. ومرتبك ومعاشك .. تتركها بعد هـذه السنوات

ـ خناقة مع رئيس الوردية .. أراد اهانتى فضربته .. اتهمنى بالاختلاس وزور فى الأوراق .

لم أجد ما أقوله .. صمت .. وخرج كأنه ألقى حمله واستراح

فى المساء .. عاد أكثر هدوءا .. قال وهو يداعب سيجارة غير مشتعلة فى يده :

ـ ربنا لم يتركنى

ثم واصل دون ان ينتظر ردى :

ـ محمود اشركنى معه فى تجارة المستورد ..

قلت باستخفاف :

ـ وما دخل الحلاقة بالمستورد ..

ـ رجل شاطر

ـ وكيف تشاركه بدون نقود ؟

ـ بعملى ..

لم أستطع الاعتراض .. كان يتحدث بتصميم .. ولم أعد أراه كل يوم سوى ساعة الغذاء ولا أحس بعودته لأنه يأتى مع الفجر ..

كان يعطينى يوميا مبلغا لا بأس به .. وهو يقول ضاحكا :

ـ بركة المستورد قلبى لم يسترح •• أمى رحمها الله كانت تقول اذا كان المتحدث مجنونا فليكن المستمع عاقلا •• محمود ثعلب كيف يقبل مشاركة سعد بدون رأسمال •• ولم يعطه هـذه المبـالغ ••

زوجى ساذج •• لا يفرق بين البكر والثيب •• أخـاف عليـه •• لكنه لم يعبأ بتحذيرى ••

حتى كان يوم •• لازلت أذكر أنه كان يوم خميس •• ذهبت أشترى بعض لوازمى من محطة الرمل •• ثم اتجهت الى الترام لأعود الى الابراهيمية

فوجئت بسعد زوجى واقفا على محطة الترام ومعه فتـاة ترتدى ملابس تفضح أكثر من نصف جسدها وتميل عليه بطريقة وقحة •• تهمس فى أذنه ثم تضحك بصـوت عـال ••

كان الخاطر الأول الذى مر بعقلى أن أضربها بالحـذاء وأبصق عليه •• كيف ضبطت أعصابى ؟

جاء الترام •• صعدت من الباب الخلفى بحذر وجلست فى الخلف أرقبهمـا •• والغيظ يمزقنى •• هبطا فى محطـة الشـاطبى •• أسرعت خلفهما •• توقفا أمـام العمارة •• هى بعينها •• صعدا لم أعد بحاجة الى المزيد انها شقة محمود التى كان يعدها لزواجنا •

وقفت حائرة على السلم .. هل أصعد ؟ أواجهه وأصفعه بكل قوتى ..

استدرت عائدة .. قبل أن أفقد الوعى ..

التقيت بمحمود وجها لوجه على أولى درجات السلم .. امتقع وجهه لم ينبس بكلمة

بصقت على الأرض وعدت وصداع رهيب يأكل رأسى ..

***

وصل سعد بعد ساعة .. كان يرسم تعبيرات الغضب على وجهه .. لعل محمود نصحه أن يكون عنيفا معى .. لكننى واجهته بنظرات قوية امتصت محاولته وجعلته يتهاوى فى مقعده .. كأنه ينظر أن أقوم فأصفعه لتسيل دموعه الحائرة فى عينيه ويستريح ..

حاول أن يجعلنى اتحدث قال بتردد :

ـ ألا يوجد شيء يؤكل

لم أرد عليه .. أعاد السؤال بنبرة عصبية

قمت خارجة من الحجرة وقلت :

ـ اذهب الى صاحبتك وابحث عن طعام ..

قام ورائى .. يقول فى استعطاف :

ــ ناديه قــدرى موقفى

نظرت فى وجهــه الشاحب وقلت صارخــة :

ــ موقفك لا يستحق الا الاحتقار

لم يثر .. احتفظ بهدوئه رغم ارتعاش يديه وقال :

ــ أردت أن أكون غنيا .. أهــل القرية كانوا ينتظرون نتيجة رحيلى

هل أتركهم يشمتون فى ..

ــ انهم أفضل منك .. انك لا تستحقهم ..

ــ حقــا

ــ حتى الوشم سلخته لتقطع صلتك بالمــاضى ..

ــ ناديه أنا هــارب من الفقر

ــ الى الــذل

ــ أنا لا أرغم أحدا .. الفتيات يسعين الى

ــ منطق سخيف .. تستغل حاجتهن .. منتهى القذارة

نظر نحوى بطريقة فهمت منها أنه يريد أن يذكرنى بما فعله معى ..

بصقت على الأرض لأعلن تقززى وقلت :

ـ ومـاذا تنـوى •

ـ لا شىء ••

ـ لابد أن تبتعد عن طريق محمود ••

ـ وكيف نعيش

ـ نتسول ولا نأكل من هذا الطريق النجس ••

ـ دعينى أفـكر ••

تركته •• لكنه فى الصباح خرج فى موعده كأننى لم أقل شيئا •• هل أنا ضعيفة كل الظروف ضدى •• هل تنتظرون أن أبصق فى وجهه •• وأطرده ••

لا تتحدثوا عن المثالية •• سعد هو القشة التى انقذتنى •• ليس لى أحد سواه ••

ترى هل تكفى هـذه الأسباب لسكوتى •• هـل يغفر لى الله ••

وسط هـذه الدوامة زارنى محمـود •• كان سـعد فى الخارج •• دخل بدون استئذان وقال بوقاحة :

ـ لمـاذا تتصدين لى •• ؟ ألا تذكرين حبنا

قلت ساخرة :

ــ وهل ينسى من نجا من الغرق يوم سقوطه فى المـاء

ضحك بشدة وقال مهددا :

ــ دعى سعد •• لا تحاولى ابعاده عنى انه ذراعى ••

ــ هل أتركه فى الوحـل ؟

ــ أتسمين العز وحـلا

ــ عز تفوح منه رائحة الشرف المذبوح ••

ــ من أين لك هـذه الفلسفة ؟

ثم نظر الى مجموعة كتب على المنضدة وقال :

ــ هذه الكتب ستورثك الجنون ••

ثم عـاد يقول بصوت واثق :

ــ اننى سريع الغضب وأخشى أن يفلت لسـانى فأخبر زوجك بتفصيلات جسدك •• اننى لازلت أذكرها

ــ نهض مبتسما وصفق الباب وهو يقول :

ــ منذ متى أصبحت فاضلة •• ؟

ومضى بعد أن غرس سكينا فى قلبى

نذل •• اننى أحتـاج الى قاموس فى الكلمـات القذرة لأنعته بهـا ••

هل أتتجر ؟ انني ضعيفة دائما امام هذه الفكرة لا أدرى لمـاذا ؟

مرت على فترة قاسية •• عزفت عن الطعام وعن القراءة ••

أذكر خلال هذه الفترة •• أن سعد وصلته برقية تفيد أن والدته توفيت ••

وذهب برفقة محمود •• الذى أحضر أحد مشاهير القراء وغابا فى القرية ثلاثة أيـام • اتيحت لى خلالها فرصة التفكير الهـادىء •• قررت أن أخـير سـعد بين أمرين اما أن يترك محمود •• واما أن يطلقنى •• واذا لزم الأمر سأخبره بكل شىء لأستريح •• يجب أن أقرر أمرا واحدا فى حيـاتى •• كفانى ضعفا ••

لكنه عندما عـاد احتوانى بقوة كأنه يتأكد من وجودى وقال بسرعة :

ــ ناديه •• اغفرى لى •• لقد قررت التوبة

قـلت بدهشـة :

ــ ما سر هــذا التغير المفاجىء ••

ــ صدقينى •• عندما وصلت القرية شعرت بالدفء •• وعندما كشفت وجه أمى لأقبلها وجدت فى عينيها نظرة عتـاب

احتفظت بها لأراها وأفهمها •• لعلها كانت تعرف كل شيء ••
كانت طيبة •• شفافـــة •

شعرت فجأة بتفاهتى •• وتفاهة كل ما حققته ••

فكرت أن أبقى وأرسل أحضرك •• ولازال هـــذا الأمر يحتل تفكيرى ••

ـ ومحمود •• هل أخبرته بذلك

ـ نعم •• وسنكون صديقين ••

فرحت •• فرحة طاغية •• وبعد يومين وجد سعد عملا فى محل حلوانى ••

عادت البسمة الى شفتى •• أصبحت الحياة حلوة مرحة •• وأنا أتأبط يوميا ذراع زوجى ونسير على الكورنيش نتسلى بقرطاسين لب من أبى ونلقى ضحكاتنا فى البحر الواسع ••

***

حاشـــية :

كنت قـــد توقفت عن كتابـــة خواطرى •• واستسلمت لسعادتى مع زوجى

لكننى اليوم أعود اليها •• طرأ أمر جديد لم أر بدا من تدوينه •• انها هواية لا أقاومها ••

جاء اليوم شاب من قرية سعد .. رقيق خفيف الظل .. يذكرنى بالحقول والخضرة والمـاء الرائق .. طلب من زوجى أن يوفر له حجرة ..

وفى ليلة وصوله ظل سعد ساهرا حتى الفجر .. أعـاد له هذا الشـاب ذكريات حياته الأولى .. وجدد فيه الرغبـة فى العودة .. استشارلى سعد قائلا :

ــ هل نطلب له حجرة من محمود .. ان لديه شـقة فى الشاطبى

ــ تلك الشقة التى يتخذها وكرا للبغاء .. حرام عليك .. ألم تتب

ــ لا .. الشقة مراقبة من أسبوع .. ومحمود لم يعد يستخدمها ..

ــ اننى لا أثق فيه

ــ لقد أكد لى ذلك .. قبل قدوم حسن ..

استرحت بعض الشيء .. وانتقل الشاب الى حجرته .. ولم يمض يومان حتى حدث المحظور .. أخبرنى سعد أن وفـاء احدى بغايا محمود المحترفات طاردها البوليس فلم تجد سوى شقة الشاطبى ولم تكن تدرى أنها مراقبة .. كان معها مفتاح

للطــوارىء •• ذهبت •• ولم يستطع الشــاب القــروى أن يقاومها ••

لقد رأيته بعد ذلك محطما يائسا •• بعد أن فقد نقاءه الذى يعتز به •• وان كنت لا أعفيه من المسئولية ••

حاولت تهدئته حتى أجــد له حجرة أخرى •• لكنــه لم ينتظر •• هجر الحجرة وهو الآن ــ ولاشــك ــ يتصــورنى عاهرة •• ماذا يقول عنى فى القرية وعن سعد •• كيف ينظر الى بعد ذلك •• وهو الذى عرفنى شاعرة وقارئة •• لا أدرى ؟

٩

كان الليل قد انتصف عندما انتهيت من قراءة أوراق نادية •• دوار ثقيل فى رأسى من تناطح الأفكار •• كان زكريا بجانبى ويرمقنى بين لحظة وأخرى بينما راح سامى فى نوم عميق وارتفع غطيطه يغشى سكون الحجرة ••

قال زكريا وهو يرانى اضع الأوراق فى قاع حقيبتى :

ـ هل انتهيت من القراءة ؟

ـ نعـم

ـ يبدو أنه مخطوط أثرى هام

ـ هل تراه مكتوبا على ورق بردى ؟

ـ كلا •• أراه مـكتوبا على ورق أزرق تفوح منـه رائحـة العطر

ـ تصبح على خير •• انك رائق البال

ارتميت على السرير ساحبا الغطاء على رأسى وهو يقول ضاحكا :

ـ لعنة الله على الحب الذى يعكر المزاج •

استيقظت فى ساعة مبكرة •• وما كدت أنهض حتى تململ زكريا وأخرج رأسه من تحت البطانية متأففا وقال كأنه يكمل حديث الليل :

ـ فيم الذهاب الى الكلية الآن ومحاضرتنا تبدأ فى الثالثة بعد الظهر •• ؟

قلت دون ان انظر اليه :

ـ سأذهب الى المكتبـة

ـ لترى فاتنة قسم الفلسفة ـ أليس كذلك ؟

ـ عايـده !

رددت اسـمها كأننى أمتص قطعة سـكر على الريق •• وقلت بشوق ••

ـ وماذا فى ذلك ؟ اننى كلما قابلتها أشـعر كأننى قرأت كتـابا ••

ـ فى الجنس طبعـا ..

انك تهذى من آثار النوم ..

ـ ولم ؟ الجنس محور الحياة يا صاح .. ألم تقرأ فرويد

ـ ليس بهذه الصورة .. هنـاك حب وتفاهم وصداقة وهذه كلها توجد لذة تزيد عن لذة الجنس ..

ـ كل هذه الأشياء تؤدى الى الجنس فى النهاية .. انه قمة المتعة بدليل أنه يحدث فى النهاية .

أتحاول فى ذلك ؟

قام وجلس على السرير وهو يقول كانه يلقى محاضرة :

ـ اننى أكره التفلسف والتشدق بألفاظ تخفى الرغبـات الحقيقية .. قل لى بالله عليك مـاذا تريد فى النهاية غير المتعـة واللذة .. لكنك تغفلها بكلمات جميلة حب صـداقة عموما فتاتك رائعـة

ـ انك مـادى أجوف

ـ دعك من هذا .. كلنا ماديون .. ولا أعفى أحدا حتى من بليت سجادته من الصـلاة .

سأقص عليك قصة طريفة ..

هبط قريتنا ذات يوم شيخ وقور .. لزم المسجد واشتهر بكراماته وتقواه

استضافه أحد أغنيــاء البلدة •• وكانت وفود الأهــالى تقصده لالتماس البركة

المرأة الحامل والطفل المحصب والبقرة العاصية ••

هل تدرى يا سيدى ماذا فعل هــذا الشيخ ؟

استيقظ صاحب البيت ذات ليلة على جلبــة وضجــة فى الحوش فوجد شيخنا على ضــوء المصــباح يجامع حمــارة سمينه ••

ما رأيك أيها الفيلسوف ؟ اننا جميعا ندور فى فلك الغريزة وان حاولنا التجاهل •• هل تكون أكثر من الشيخ الزاهد

قال ذلك وضحك بشدة •• قلت معترضا :

ــ اذهب أنت وشيخك الى الجحيم •• ليس هــذا مقياسا تلغى به الفضائل انك بهذا تلغى تكريم الانسان وتجعله بهيما يعربد فى عالم الشهوة ••

ــ أتحداك وأتحدى كلماتك المعسولة من صداقة وحب لو اختليت بفتاة ونجت منك ••

ما هــذا ؟ لمس العربيــد الجــرح •• سرحت فى شــقة الشاطبى ••

هل أنت على حق يا زكريا ؟ اننى لم أستطع مقاومة مومس

لكن لا •• الغلطة غلطتى •• ليس معنى هـذا أن الناس كلهم مثلى ••

نعيب زماننـا •• !!

نحن المذنبون •• أسرعت بالخروج وضحكاته تشيعنى ••

***

بحثت عن عايده فى المكتبة لم أجدها •• ذهبت الى قسم الفلسفة •• كانت فى المحـاضرة •• انتظرتها حتى خرجت •• قالت عندما ما رأتنى :

ــ أين أنت يا هيرودوت ؟

شعرت بسعادة غامرة قلت مبتسما :

ــ هـل بقيت لك محـاضرات

ــ كلا •• أنا رهن مناقشتك ••

ــ لدى محاضرة فى الثالثة أمامنا وقت طويل

ــ ما رأيك لو حضرت معك محاضرتك •• فى أى مـادة هى ؟

ــ التـاريخ الفرعـونى

ــ أحبـه

ــ هـذا كسب للتاريخ

ـ أشكرك •• حدثنى عن موضـوع المحاضرة لأستعد ذهنيـا :

ـ سيحدثنا الأستاذ عن بناء الأهرام ••

ـ موضـوع ممتـع

ـ هل تتصورين اننى كنت أعيش فى عذاب بسبب هذه الأهـرام ؟

ـ كيـف ؟

ـ كنت أرثى لأجدادنا الذين بنوها •• وأكاد أسـمع سياط الفرعون تمزق ظهورهم العارية ليجدوا فى اقامة صرحه •• كنت أتصـور كل حجر ملوث بعرق ودم أحـدهم •• لكننى استرحت بعد أن قرأت بتوسع فى هذا الموضوع

ـ كيـف ؟

ـ عرفت أن المصريين كانوا فى قمة السعادة وهم يشيدون الأهـرام ••

لأن الفرعون ـ فى نظرهم ـ كان الها وليس بشرا •• وخلوده معناه خلودهم ونعيمهم ••

ـ أنت حساس أكثر من اللازم •

شعرت فجـأة اننى أحمق •• ان صـورة عايده دائمـا

معى .. أتحرق شوقا للقائها .. فاذا قابلتها .. أقتل الوقت بالمناقشة والحديث .. تاريخ فلسفة ..

ما هــذا .. ترى هل تتضايق من هذه الثرثرة .. ؟

أود أن أبوح لها باعجابى .. كم أنا خائب ..

حاولت أن أجرها .. اكتشف لها خبايا قلبى .. لم تمنحنى فرصــة واحدة ..

كانت تتحدث فى كل شىء .. فى السياسة وغزو الفضاء ..

أردت أن أحدثها فى موضوعى :

ـ عايده أريد أن أحدثك فى أمر هام

ـ ليس قبل أن ترى هذه

قدمت لى قصاصة من ورقة جريدة كتبت فيها كلمة تهاجم الحديث عن غزو الفضاء وتنعى على الكتاب الحالمين اغراقهم فى الخيــال وتركيزهم على أن هنــاك مخلوقــات أكثر تطورا فى الكواكب الأخرى .. وهى ترى أنه لابد من الافتراض أنهــا ـ اذا وجدت ـ فربما تكون مخلوقات بدائية تحطم حضــارة الانســان .

هنأتها على هــذه الأفكار النيرة .. واقترحت عقد ندوة لأسرة أبناء الريف نناقش فيها الموضوع باستفاضة ..

حاولت مرة أخرى أن افاتحها •• هيا لا تضيع الوقت •• لا تكرر خطأك الذى وقعت فيه يوم أحببت لأول مرة •• هل تتذكر ••

كنت تلميذا بالاعدادية •• حنان فاتنة الفصل •• كنت تحبها •• وتعتقد أن حبها هو كل شيء فى حياتك •• لكنك لم تجرؤ على الحديث معها ••

كنت تكتفى بحديث العيون •• ألم تقل أمك ذات يوم من القلب للقلب رسول لكن رسول قلبك كان حمارا •• لم يستطع أن يوصل مشاعرك

وطارت حنان •• اختطفها سعيد طالب الثانوية العامة •• تعلقت به وبشخصه القوى وتركتك تتعذب ••

هل تتكرر المأساة •• ؟ يجب أن تعد الكلمات من الآن ••

ـ عايده قلت أريد أن أحدثك فى أمر هام

ـ هاك أذنى •• قل

ـ اننى معجب بك •• بثقافتك •• بجمالك •• بكل شيء فيك

رفعت عينيها نحوى وقالت :

ـ حسن •• أنا عايده ولست نفرتيتى أو كليوباترا ••

ــ أنت أجمــل منهما

ــ لست أقوى على هــذا الاطراء

ــ اننى لم أعد الحقيقة •• صورتك ياعديدة دائما معى

قــالت باســمة :

ــ ارجوك حافظ عليهــا

ــ جاريتها فى الابتسام وقلت بقلق :

ــ عايده •• أريد أن أعرف شعورك •• اننى قلق

ــ حسن •• لا تنس أننا من الريف •• ولا أستطيع أن أحدثك باستفاضة عن شعورى

ــ أريد أن أطمئن ••

ــ بصراحة أنا أفكر فيك كثيرا وهــذا يطمئنك ••

ــ أطمع فى المزيد

ــ الوقت كفيل به ••

١٠

رغبة آكيدة تلح على أن أزور القرية •• سأذهب الى سعد الزناتى لأخبره لعله يريد شيئا من هناك ••

طرقت باب الشقة عدة مرات •• لم يرد أحد ••

هبطت الى البواب •• سألته عن سعد •• واجهنى بنظرته الجافة وقال بصوت قاطع :

ــ زوجته فى المستشفى ••

ــ لــم ؟

ــ مريضة •• لا أدرى •• رأيته يحملها

ظهرت العصبية على وجهه •• لابد أن أعرف طريقها

ـ أى مستشفى ؟

ـ لا أدرى •• ربما ذهبوا الى المواساه ••

أسرعت الى هناك •• أخبرنى فى الاستقبال أنها فى قسم الحوادث منذ الأمس ••

كان سـعد يجلس أمام حجرتهـا مكوما كأنه عجوز فى الثمانين والدموع تسيل على وجهه كالمطر •• الأطباء منعوه من الدخـول ••

والدهـا ملقى على الأرض يئن •• أسرت الى ممرضـة القسم أن حالتها خطيرة •• تناولت زجاجة مبيد كاملة ••

دوامة ضخمة احتوتنى •• هل تغلبت ناديه أخيرا على القوة العاتية التى كانت تمنعها من الانتحار ••

وما الذى أعطاها الجرأة على ذلك ••

سعد يهيم فى عالم القلق •• أعرف تماما ما يعانيه •• اننى من زبائن هـذا العالم الدائمين ••

دخل شخص برفقة الطبيب •• انه صحفى يتابع أخبـار الحوادث •• يريد أن يسأل سعد •• لكنه كان غائبا عن كل شىء •• التفت الصحفى نحوى كأنه يستنجد بى

اجبته باقتضـاب لكنـه اشـار لى وانتحى بى جانبـا ثم همس لى :

ـ هل كان زوجها ـ حقيقة ـ على خلاف دائم معها

ـ من قال هكذا ؟ انه يحبها وهى كذلك تحبه

قال الرجل بصوت خفيض :

ـ عندما ذهبت الى شارع الزنكلون لأغطى الحادثة وأسأل الجيران قابلنى حلاق يدعى محمود وأخبرنى بذلك •• وأكد أن هذا هو سبب الانتحار ••

قلت فى غضب :

ـ أنا صديق الأسرة أؤكد لك أن هذا باطل •• ان هذا الحقير عدو لهما وأرجو ألا تنشر هذا الكلام الفارغ ••

كان المساء قد هبط وشعرت بالتعب يتسرب الى جسمى •• ارتميت على دكة فى صالة القسم ••

ـ ما الذى حدث يا سعد

سألته فى الصباح •• كان ذاهلا قال :

ـ لا أعرف •• جاءنى الجيران فى المحل وقالوا ان زوجتك تموت

لا أدرى كيف وصلت وجدتها راقدة أمام الشقة تفرغ ما فى معدتها بصوت عال وتصرخ •• تصرخ ••

حملتها على كتفى •• ألقيتها فى تاكسى وجئنا •• ولا أعرف ماذا حدث ؟

الطبيب يؤكد انها شربت زجاجة مبيد .. لماذا ؟

لقد تركتها سعيده .. وكنا سنذهب الى السينما ..

الجيران أخبرونى ـ عندما أتوا لزيارتها ـ انهم شاهدوها تزحف على سطح العمارة وتصرخ بأقصى قوتها .. لم تستطع تحمل الآلام ..

ارحمنى يارب .. رحمتك ..

حاولت أن أدخل اليها .. دون جدوى .. حالتها خطيرة ..

الممرضة قالت لى انها لا تتحدث وان نبضها ضعيف للغاية

هل هى النهاية ؟ هكذا سريعا يا ناديه

لابد أن أمرا خطيرا دفعك الى تخطى حاجز الخوف من الموت ..

لابد أنه أشد من الموت نفسه ..

لغزك محير .. هل يكون الكلب المسعور محمود الحلاق؟

احتمال قوى .. انه يحاول التضليل وتلويث سمعة سعد الساذج المسكين ..

لماذا لم تخبرى زوجك بكل شىء ويفعل بعدها ما بدا له ؟

أقصى ما يستطيعه أن يطلقك .. ولو .. كل هذا أرخص من حياتك ..

انك عنيفة تبالغين دائما •• حتى فى الأمور التى تتعلق بوجودك ••

اعتقادى جازم فى أن هذا الخنزير النجس هو سبب انتحارك ••

ــ سعد هل تشاجرت معها ؟

ــ أبدا والله •• لقد تأخرت ليلتها فى المحل وعدت فوجدتها نائمة وفى الصباح خرجت وأكدت لها اننى سأعود سريعا وسنذهب الى السينما ••

ــ ألم تلاحظ عليها شىء ••

ــ كانت متجهمة •• لكنني ظننت أن سبب ذلك تأخيرى فى المحل

***

عدت الى الحجرة فى المساء لأطمئن زملائى •• كانوا قلقين لاننى قضيت ليلتى فى الخارج •• أخبرتهما بما حدث •• قدم لى زكريا خطابا وجده لى فى الكلية

انه منها •• نادية

عزيزى حسن ••

عندما تفض غلاف رسالتى •• تكون روحى المعذبة قد غادرت العالم بعد أن يئست منه ومن أهله ••

فشلت فى أن أعيش نقية •• اللعنة تطاردنى

فكرت كثيرا •• عذابى اذا عرف زوجي ما حدث سيكون فظيعا •• لن أتحمله الكلب جاءنى •• حاول أن يعتدى على •• مصمم على افتراسى

حاولت أن أمنعه •• دون جدوى

جريت على السطح •• جرى خلفى •• لن أستطيع الحياة ••

فكرت فى قتله •• لكننى تراجعت •• أنا ضعيفة •• تكفينى جريمة واحدة

القوة التى تتمسك بالحياة داخلى ماتت ••

سأترك الدنيا كلها وأذهب الى أخى وأمى

ارجو أن تكتم كل شيء وتحرق مذكراتى لأظل ذكرى نظيفة فى حياة سعد

تحقق ظنى •• هو السبب •• ذهب اليها يريد أن ينالها •• ابن الكلب •• سأعود الى المستشفى ••

***

كان واضحا أن كل شيء قد انتهى •• منظر الطبيب العصبى الذى يدخل ويخرج بسرعة •• المرضة شاحبة لا ترد على أحد •• انفجر سعد فى البكاء ••

جهزت بسرعة أوراق خروجها •• وقفت حائرا •• دموعى تنهمر فجأة بكرم لم أتعوده أمسكت بذراع سعد لأسنده •• شعرت به يتهاوى ••

ماذا يحدث لو صرخت الآن فى كل مكبرات الصوت الموجودة بالاسكندرية وقلت كل شىء •• قلت أن ناديه قتلت •• وقاتلها هو الخنزير النجس محمود الحلاق ••

لابد أن سعد سيسرع اليه ساعتها ويخمد أنفاسه القذرة ••

هل يضيع دمك ؟ ألا يكفيه أنه أفلت من جريمة هتك عرضك وعرض مئات غيرك •• ؟

هل ينجو كذلك من جريمة ازهاق روحك ؟

لماذا طلبت منى الكتمان •• ؟ أخشى أن أكون سببا فى اسراعك بالرحيل ••

هل ندمت بعد أن قدمت لى مذكراتك •• لقد تحملت محمود طوال السنوات الماضية ••

ما الذى حدث ؟

سأذهب الى هذا القواد وأقتله •• نعم سأنتقم لك ••

لكنه ذاب •• بحثت عنه فى كل مكان لم أجده ••

الدكان مغلق .. مهما اختفى سأجده .. رائحته الكريهة تدل عليه مهما كان بعيدا .. سأمزق الشر فى داخله .. لا يهم السجن بعد ذلك

اماطة الأذى عن طريق الناس واجب .. هـذه الحشرة السامة لابد أن يطأها شخص ما بنعله .. ويمسح عصـارتها النتنة بخرقة بالية ..

أمى لن يضيرها سجنى .. ستعيش .. لها ابن غيرى .. سوف تنسى بعد حين وتخلد الى الهدوء .. راضية بالواقع

أما أنا فلا يمكن أن أعيش معه على أرض واحـدة .. لا أقبل أن يتنفس الهواء وضحيته ثاوية فى التراب ..

لو غبت قرنا يا محمود ستجدنى فى انتظارك ..

صـديقى زكريا تعب معى .. يحـاول أن يعرف سـبب قلقى .. نعم أنا قلق .. ناقم .. شىء ما بداخـلى يصرخ .. الحـق .. العـدل ..

محمود الحلاق يجب أن يموت .. يجب أن تخترع آلـة خاصة لقتله .. تزود بآخر ما توصل اليه العقل من وسـائل التعذيب ..

مـاذا تريد يا زكريا ؟ هل تبغى معرفة القصة برمتها .. ومـاذا يجرى .. الحبل فى يدى ولن تجدنى هادئا طبيعيا الا بعد

أن يرتوى تـراب الأرض بـدم الكلب •• بعدهـا سـأعود حسن عبد الكريم الطيب ••

أنا الآن فى أجازة •• مهمة رسمية لازالة الشر ••

كيف يسمح الله للشر أن يعيش فى مملكته ؟ استغفر الله •• لعلها حكمـه ••

دائما ترجع الأمور التى لا تروقنا الى حكم خافيه ••

لـماذا يعيش محمود ويتمتع •• على حساب روح طاهرة ازهقت ••

صوت وليد يرتفع داخل نفسى محتجا •• من أنت حتى تنصب نفسك قاضيا ••

تنسى انك أول الخاطئين ••

كلا •• لست مجرما يا ضميرى بطبيعتى •• كانت نزوة •• حب استطلاع •• نلت جزاءها منك أطنانا من الندم ••

لست شريرا بالفطرة •• محمود فاسق •• يعيش على دم الأعراض •• لا يتراجع هذه هويته ••

سأقتله •• وأعود •• سأرجع الى القرية •• أزرع أرضى السجن لا يخفينى •• فترة تطهر •• أعـود بعدهـا الى أهـلى

زكريا يقول .. هناك محاكم وقضاه يلجـأ اليها الناس

انك ساذج من يثبت الجريمــة .. من يملك الدليل .. القانون مطــاط

لقد أخبرتك يا صــديقى بكل شىء ثم ها أنت ذا تقول محــاكم وقضاه

كلام فــارغ .. اننى أعــرف طريقى .. انــك تتهمنى بالجنــون ..

ومــاذا يضير أن نعمة الجنون اليوم لا ينالها الا الصفوه...

١١

ـ عايده .. دبرينى .. فقدت توازنى

ـ اهدأ .. الموضوع يستحق التروى .. هيا نسير قليلا

ـ أشعر اننى السبب ... ما الذى دفعها الى الانتحار .. هل ندمت على تعرية نفسها أمامى ..

ـ لا تتهم نفسك .. الأمر ببساطة أنها فقدت السيطرة على مشاعرها .. تكرار المحاولة من محمود هـذا وضعفها .. ورغبتها فى دفن المـاضى دون جدوى .. كل هذا هو السبب فى رأيى ..

ـ أسبوع كامل أفكر .. لم أهتد الى حل .. انهـا لم تخبر أحدا غيرى الرغبة فى الانتقام تسيطر على

ـ دعه لله ..

ـ القصاص يا عايده

ـ انك لا تملك الدليل .. ارجوك اهدأ لا تضع مستقبلك

ـ الخوف يا عايده هو سبب مشاكلنا .. كل منا يخشى على مستقبله .. من الذى يحارب الباطل ..

ـ القانون

ـ نفس كلام زكريا

ـ وكلام أى شخص عاقل

ـ اختلف معكم

ـ اذن لست عاقلا

ـ ولو ..

ـ هل فقدت القدرة على التمييز .. انى آمنعك من هذا الحمق

ـ لا أدرى يا عايده .. لا أدرى

ـ يجب أن تثوب الى رشدك .. أنت تفكر بطريقة بدائية أين القراءة .. والثقافة

ـ دفنت مع ناديـه

ـ لا •• اهـدأ •• وكل شيء له حل

ـ لا أريد أن أقحمك بمشاكلى ••

ـ مشاكلنا واحـدة ••

ـ مـاذا ترين •• لقد جئتك لتساعدينى ••

ـ الطريق السليم هو ابلاغ البوليس

ـ وصية ناديه ألا يعرف أحد قصتها •• وقد استثنيتك ولا أريد أن أزيد ••

ـ يمكنك التصرف بدون المساس بالوصية

ـ كيـف ••

ـ ارسل بلاغا الى بوليس الآداب •• اذكر فيه كل شيء عن نشاط محمود وأوكاره بدون التعرض لموضـوع ناديه •• واعتقد أن هذا فيه الكفاية

ـ هل يتحرك البوليس

هـذا واجبـه

ـ لكنه قد يتباطـأ

ـ تذرع بالصبر •• نهاية الشر معروفة

ـ فى الروايـات فقط ؟

ـ وفى الدنيا كذلك .. أنت مؤمن

ـ اهتز ايمـانى

ـ الجرائم تقع كل يـوم .. والقـانون يأخذ مجراه والله فوق الجميع

ـ أريد أن أقتنع

ـ سأكتب البلاغ بنفسى ..

عدنا الى بوفيه الكلية جلست تكتب وأنا أمليها .. قلت كل شىء .. عن محمود ونشاطه وأسماء بعض عملائه ..

شعرت ببعض الراحة .. عايده تبتسم

ـ نحتفل باعـادة هدوئك

حاولت أن أبتســم ..

ـ كيـف

ـ كوبان من الليمون على حسابى

ـ أشـكرك يا عايـده

ـ هـذه المـأساه أثرت فى نفسى .. لكننى لابـد أن أهـدئك ..

ـ لو تعرفين ناديه •• كانت رائعة •• طيبة

ـ بـدأت أغـار

ـ لا ياعايده •• أنـا لا أفرح •• كانت مثقفة قارئة •• الظروف تحدتها منذ بداية حياتها •• كانت ريشة ضائعة وسط دوامة •• لا تملك شيئا •• كل خطواتها •• فرضت عليها •• يئست من الحيـاة ••

ـ رحمهـا الله ••

ـ ارجو أن يرحمها •• هذا هو الأمل الوحيد الباقى لها

ـ رحمة الله واسعة •• تشمل حتى الخاطئين ••

ـ كلامك مريح •• لا أدرى مـاذا كنت أفعل بدونك

ـ كنت ستتحول الى الخط أو غيره من عتاة القتله

ـ معك حق •• رحيل ناديه أثر فى نفسى ••

ـ هيا نرسـل البلاغ

ابلغت زميلى بما حدث قهقه زكريا :

ـ الأوامر آتية من أعلى •• لو كنا تحدثنا معك طول العمر ما استمعت لنا

قال سامى مشاركا :

ـ كلام الحبيب مقدس

قـلت :

ـ لا أدرى هل يفى ذلك بالغرض

قـال زكريـا :

ـ بالطبع .. البوليس لن يسكت .. يقبض عليه ..

ثم اردف :

ـ وعايده ألن تقبض عليها .. الى أى شيء وصلت معها

ـ انـك رائـق ..

ـ لا .. الحياة أبقى من الموت .. ابحث عن مستقبلك قبل أن تطير

اصطدمت الكلمة الأخيرة بأذنى .. لم لا أخطبها .. لم أعد أطيق فراقها ..

هل هـذا وقته .. استحضرت صـورة ناديه .. كانت تبتسم .. لم تغضب لتفكيرى فى الخطبة .

لن يحدث قبل أن أرى محمود الحلاق يساق الى السجن..

قـلت فى حـزن :

ـ اننى فى حالة حزن .. ناديه كانت مثل أختى ..

قـال سـامى :

ـ انتبه الى محاضراتك وانتظم •• وكل شيء سيسير في وضعه الطبيعي ••

ـ ما يضايقني أن كل المصائب جاءت بعد وصولي •• سعد الزناتي يقيم في الاسكندرية منذ سبع سنوات •• لم يحدث شيء •• كل المتاعب جاءت بعدى

ـ مصادفة •• مجرد مصادفة •• ما دخلك أنت

رد زكريا بصوت عال :

ـ الأمر الوحيد الذي يخلصك من المشاكل رحلة ••

ـ رحلة

ـ نعم الى قريتنا •• ويأتي معنا سامي

صرخ سامي :

ـ موافق

ـ لكن

ـ لا توجد أي لكن •• يومان وتعود شخصا جديدا

قال سامي :

ـ ولا أخبرك عن مهارة أم زكريا في طهي ذكور البط

تكلفت الابتسام وقلت : انني متعب

قال زكريا :

ـ ستستريح .. سنذهب غدا .. لا رجعة

ذهبنا مبكرين .. القرية جميلة .. تشبه قريتنا .. أمه رحبت بنا كثيرا

حضر أبوه من الحقل .. شد على أيدينا .. رائحة البط فاحت .. سامي لا يكف عن الصياح والضحك .. جاء أقارب زكريا .. نسيت نفسي تماما

قضيت يومين ممتعين .. عدنا وقد أصبح ذهني هادئا بعض الشيء

واستطاع سامي أن ينتزع الضحك مني ..

نفسي استراحت نسبيا .. عدت الى عملي ومذاكرتي .. كتبت خطابا آخر لوالدي ..

سعد الزناتي أين هو ؟

أريد أن أراه .. حاولت أن أذهب اليه من قبل .. منعني زكريا .. حاول أن يبعدني عن مسرح الحادثة ..

مضى أكثر من ثلاثة أسابيع .. لم يحاول سعد مرة واحدة أن يتصل بي ..

لابد أنه غاضب .. يعتقد انني هربت .. ولم أقف بجانبه .. سأذهب اليه

أعصابى الآن أقـوى ..

ذهبت الى الابراهيميـة .. سرت فى شـارع الزنكلون وذكريات وصولى اليه لأول مرة تعاودنى ..

نظرت الى دكان محمود الحلاق فى قرف ..

حركة غير عادية .. أشـخاص لا أعرفهم يقفون أمـام الباب .. نقاش يقوم بزخرفـة المحل من الداخل لافتـه كبيرة وضعت حديثا فوق الباب

(جزارة الأمانة) الحاج حافظ سليمان وشركاه ..

أمعنت النظر فى اللافته .. تسمرت قدماى

نظر نحوى رجل من الواقفين .. تحركت بصعوبة ..

طرقت الباب عدة طرقـات .. كدت أيأس من الرد .. فتح الباب أخيرا

برز وجه والد ناديه الناتىء العظام كأنه ميت خرج لتوه من القبر ..

وقفت مدهوشا والرجل ينظر الى بعينين خبا بريقهما وماتت الرغبة فى الحياة بهما .. هز رأسه فى تساؤل قلت فى خوف :

ــ أين سعد ؟

صمت الرجـل قليلا كأنه يستجمع قواه ليتحدث وقـال بصوت مكتوم وهو يشير بأصبعه نحو الأفق :

ـ ذهب .. عاد الى هناك

ألقيت نظرة أخيرة على وجه الرجل وهو يهم باغلاق الباب

نزلت مسرعا .. سرت بخطوات سريعة ..

وصلت الى دكان محمود الحـلاق .. ووقفت أحملق فى اللافته الجديدة

ابتسامة صغيرة تولد على شفتى رغما عنى .. رمقنى الرجل الواقف أمام الباب بنظرة فاحصة

تحركت بسرعة ولحقت بالترام قبل أن يغادر المحطة

ـ تمت ـ

رقم الايداع ٨٥/٢٩١٥

الترقيم الدولى × ـ ٠٥٩٧ ـ ١ ـ ٠ ـ ٩٧٧

مطابع الهيئة العامة للكتاب

هذا الكتاب :

رواية ذات أسلوب سلس معبر ، تحكى قصة شاب «حسن» عاش فى ريف مصر البكر السخى ، يعبد الله ويقدس الحياة ويحب الناس ، إلى أن اضطر للإقامة بالإسكندرية ـ بعد الالتحاق بجامعتها ، وفى الكلية يتعرف إلى القروية الأصيلة «عايدة» طالبة الفلسفة التى تبادله الإعجاب ، وتعيش معه قصة «نادية» زوجة سعد ، بلدياته ، المولعه بالشعر والقراءة رغم فقرها وبيئتها ودراستها المتوسطة ، وهى القصة التى انتهت بانتحارها بعد أن يئست من الحفاظ على شرفها .. وتبعث إلى «حسن» بمذكراتها كاملة حتى لا يستمر فى ظلمه لها ، وحتى لا يلعن ذكراها بعد الرحيل ..

أما «حسن» فيعلن حبه «لعايدة» وتستمر الحياة على الرغم من أن شعاعا هرب من شمسها .

٨٠ قرشـاً
مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب